المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
وكالة الجامعة لشؤون المعاهد العلمية
الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج

الأدب العربي وتاريخه

العصر الجاهلي
وعصر صدور الإسلام والعصر الأموي

للسنـة الأولى الثانويـة

طبعة ١٤٣٧هـ

يوزع مجاناً

ح جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج بالجامعة.
الأدب العربي وتاريخه للسنة الأولى الثانوية في المعاهد العلمية./ الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج بالجامعة.. الرياض، ١٤٢٦هـ
(١٦٠) ص ٢١,٥ × ٢٧ سم.
ردمك : ٣-٥٣٢-٠٤-٩٩٦٠
١- الأدب العربي - تاريخ - كتب دراسية. أ- العنوان.
ديوي ٨١٠,٩٠٠٧١٢ ١٤٢٦/٥٣٣

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٥٣٣
ردمك: ٣-٥٣٢-٠٤-٩٩٦٠

للتواصل مع الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج
هاتف: ٠١١٢٥٨٢٢٢٢ ، فاكس: ٠١١٢٥٩٠٢٤٩
بريد إلكتروني (mnahj@imamu.edu.sa)
أو من خلال بوابة الجامعة الإلكترونية (www.imamu.edu.sa)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ﷺ أما بعد:

فإن الأدب العربي – شعره ونثره – من الفنون التي يجمل بطالب العلم الإلمام بها، والتزود بقدر مناسب منها؛ وذلك لما للأدب من أثر بالغ على ثقافة المتعلم وأسلوبه في نقل ما يحمله من فكر وعلم مقروء أو مسموع.

وأدب كل أمة يعبر عن حضارتها وثقافتها وقضاياها ويصور حياتها بما فيها من أفراح وأتراح، وآلام وآمال.

ونحن نقدم هنا هذا الكتاب لطلاب السنة الأولى الثانوية في المعاهد العلمية. نعرض فيه بعضاً من الصور الأدبية الراقية الجميلة، مما أنتجته الثقافة العربية قبل الإسلام وبعده؛ لنرى مدى التحول والرقي في الأدب بعد مبعث النبي ﷺ ورسالته الخالدة، ومدى الأثر الذي أحدثه القرآن الكريم والحديث الشريف في الأدب.

ومما تهدف إليه دراسة الأدب العربي وتاريخه في هذه المرحلة ما يلي:

١- إطلاع الطلاب على عيون الأدب العربي، وغرره ومحاسنه وأشهر أعلامه.

٢- تعرفهم على تراث أمتهم الإسلامية وكنوز ثقافتهم وما لأمتهم من علم ومعرفة وحضارة.

٣- وضع مقدار مناسب من النصوص البليغة بين أيدي الطلاب ليتذوقوا الأدب ويتمرسوا بأساليبه، ويتمرنوا على الإجازة في نواحي القول وشعب البيان.

٤- الاهتمام بدراسة أثر القرآن الكريم والحديث الشريف في اللغة والأدب مع بيان نواحي الإعجاز فيهما، وكذا خطب النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم.

٥- تحبيب اللغة الفصحى إلى الطالب بما فيها من شعر ونثر لكي يدرك جمالها ويعتز بها ويدافع عنها.

٦- تنمية ملكة التذوق الأدبي للنصوص الأدبية.

٧- توظيف الأدب ليكون أدب نفس فيحقق الانتماء الإسلامي الأصيل، ويساهم في التربية النفسية والاجتماعية، وتهذيب الأخلاق، وتزكية النوازع الخيرة من خلال النصوص الأدبية الجيدة.

ولتنفيذ الأهداف السابقة بالصورة المطلوبة يحسن بالمدرس مراعاة ما يلي:

١- العناية بالنقد الأدبي لكل نص يدرس، ولكل موقف أدبي وذلك باستخدام المقاييس النقدية والبلاغية التي درسها الطالب في منهج البلاغة؛ للاستفادة من تلك القواعد والمصطلحات وترسيخها في الذهن عن طريق النصوص.

٢- النقد الخلقي والتربوي للنصوص والمواقف الأدبية عندما تدعو الحاجة إلى ذلك.

٣- إشراك الطلاب في الشرح والاستنباط، والتقليل من طريقة الإلقاء والسرد للمعلومات.

٤- العناية بالشرح اللغوي للكلمات، وبيان ما غمض من المعاني.

وأخيراً فإن الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج تسعد بتلقي ملحوظات الإخوة المدرسين واقتراحاتهم حول هذا الكتاب وغيره؛ وذلك سعياً للإرتقاء بمناهج المعاهد العلمية وكتبها لتحقيق رسالتها السامية بإذن الله.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضاه. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج

الفصل الدراسي
الأول

توزيع المنهج للفصل الدراسي الأول

الأسبوع وتاريخه	الموضوعات	ملحوظات
الأول من / / ١٤٣هـ	▪ توجيهات عامة وخاصة بالمادة، وتعريف الأدب.	واجب منزلي
الثانى من / / ١٤٣هـ	▪ أقسام الأدب (الشعر وأنواعه، النثر وأنواعه). ▪ قراءة قصيدة حاتم الطائي في الكرم وتوضيحها، حفظ خمسة أبيات منها	
الثالث من / / ١٤٣هـ	▪ الغرض من دراسة الأدب، العصور الأدبية. ▪ قراءة خطبة قس بن ساعدة في سوق عكاظ وتوضيحها. (حفظ الخطبة)	
الرابع من / / ١٤٣هـ	▪ العصر الجاهلي (الحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية). ▪ قراءة قصيدة المثقب العبدي (لا تقولن) وتوضيحها. (حفظ خمسة أبيات منها)	
الخامس من / / ١٤٣هـ	▪ أيام العرب (يوم ذي قار، يوم خزازي). ▪ قراءة أبيات الأعشى في يوم ذي قار وتوضيحها. (حفظ الأبيات)	واجب منزلي
السادس من / / ١٤٣هـ	▪ الشعر الجاهلي (نشأته، وروايته، أغراضه).	
السابع من / / ١٤٣هـ	▪ خصائص الشعر الجاهلي، المعلقات.	
الثامن من / / ١٤٣هـ	**اختبار منتصف الفصل الدراسي الأول.**	واجب منزلي
التاسع من / / ١٤٣هـ	▪ امرؤ القيس (حياته وشعره وأغراض شعره). ▪ قراءة قصيدة امرئ القيس (وليل كموج البحر) وتوضيحها (حفظ خمسة أبيات منها).	
العاشر من / / ١٤٣هـ	▪ النابغة الذبياني (حياته وشعره وأغراض شعره). ▪ قراءة قصيدة النابغة (كليني لهم) وتوضيحها. (حفظ خمسة أبيات منها)	
الحادي عشر من / / ١٤٣هـ	▪ زهير بن أبي سلمى (حياته وشعره وأغراض شعره). ▪ قراءة قصيدة زهير (سئمت تكاليف الحياة) وتوضيحها. (حفظ خمسة أبيات منها).	
الثانى عشر من / / ١٤٣هـ	▪ النثر الجاهلي (الخطابة). ▪ قراءة خطبة أكثم بن صيفي أمام كسرى وتوضيحها. (حفظ خمسة أسطر منها)	واجب منزلي
الثالث عشر من / / ١٤٣هـ	▪ الأمثال. (حفظ سبعة أمثال).	
الرابع عشر من / / ١٤٣هـ	▪ مراجعة ما حفظ من الشعر والنثر	
الخامس عشر من / / ١٤٣هـ	**مراجعة عامة**	

تعريف الأدب

تعارف كثير من الأدباء والنقاد على تعريف (الأدب) بما يلي:

(مأثور الشعر الجميل، والنثر البليغ، المؤثر في النفس، المثير للعواطف).

فالتأثير شرط في الأدب، أما الشعر والنثر اللذان لا يثيران العواطف كالمنظومات التي تسهل حفظ العلوم، والكتب التي ألفت في العلوم المختلفة، فهذه لا تسمى أدباً.

وقد استقر هذا المدلول لكلمة "أدب" طوال العصور التي تلت العصر العباسي إلى يومنا هذا. ولكننا إذا أردنا أن نعرف الأدب من خلال النظرة الإسلامية فإننا نقول: الأدب كل شعر أو نثر يؤثر في النفس ويهذب الخلق ويدعو إلى الفضيلة ويبعد عن الرذيلة بأسلوب جميل.

أقسـام الأدب

ينقسم الأدب إلى فنين كبيرين هما:

(أ) فن الشعر **(ب) فن النثر**

(أ) الشـــعر

يعد الشعر الفن الأكبر من فنون الأدب، والأكثر رواجاً وإمتاعاً للنفس، وشهرته وتـــأثيره في النفوس على مرّ العصور أوضح وأبين من غيره؛ ولذلك فعندما يذكر الأدب فإن الشعر أول مـــا يتبادر إلى الذهن لقوة دلالته عليه.

والشعر ثلاثة أنواع هي:

١- الشعر القصصي:

الشعر القصصي أو الملحمي: قصائد طويلة تحكي قصص أبطال عملـــوا أعمـــالاً عظيمـــة وجبارة، أو أعمالاً خارقة للعادة.

وقد عُرفت الملاحم في أول أمرها عند اليونان، وأشهر ملاحمهم: ملحمة "الإلياذة"، وملحمة "الأوديسا" وقد صنعهما شاعر اسمه هوميروس[١]، ويوجد الشعر الملحمي في معظم الآداب العالمية بما فيها الأدب العربي إلا أنه لا توجد فيه الملحمة بمعناها الأسطوري الخرافي الوثني حيث تتعـــدد الآلهة كما في "الإلياذة والأوديسا". وإنما وجدت القصائد التي تصور المعارك والبطـــولات فيمـــا عرف بشعر الحماسة، من العصر الجاهلي إلى شعر الفتوحات إلى معارك المسلمين مع الـــروم وإلى عصرنا الحاضر.

---

(١) شاعر يوناني عاش في القرن الثامن قبل الميلاد.

٢- الشعر التمثيلي:

شعر يصنع للتمثيل على المسرح. فهو يختلف عن الشعر القصصي الطويل، فالقصيدة في الشعر المسرحي محدودة الطول؛ لأنه سيمثلها أشخاص وينظر إليها الجمهور في وقت محدود.

وهذا النوع من الشعر أول ما عرف عند اليونان، ثم عرفه الرومان، أما العرب فلم يعرفوه إلا في العصر الحديث عندما ألف أحمد شوقي[1] (مصرع كليوباترة) و (مجنون ليلى).

٣- الشعر الغنائي أو الوجداني:

الشعر الغنائي: هو الذي يتحدث فيه الشاعر عما يحس به من خواطر، وينقل ما يجيش في نفسه من مشاعر.

ويصاغ في قصيدة متوسطة الطول، وهو صالح للغناء في معظمه، وأكثر الشعر العربي من الشعر الغنائي وهو يشتمل على أغراض كثيرة منها: الحماسة، المدح، الرثاء، الهجاء، الوصف، الغزل.

---

(١) شاعر عربي مصري لقب بأمير الشعراء. توفي سنة (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م).

(ب) النثـــر

عندما ذكرنا بان الشعر هو أكبر قسمي الأدب وأشهرهما فلا يعني ذلك التقليل مـــن شـــأن النثر، بل إنه في بعض الأحيان أقوى تأثيراً؛ وذلك عندما تكون الحاجة إليه أمسّ من الحاجـــة إلى الشعر.

ويشتمل النثر على أنواع كثيرة منها: الخطب والرسائل والأمثال والحكم والوصايا والمقامات والقصص، والمسرحيات.

أنواع النثر

١- الخطابة:

الخطابة نوع من النثر الفني الذي يؤثر في النفس ويثير العواطف عن طريق طـــرح الأفكـــار المقنعة المقرونة بالحجج والبراهين، ويكون ذلك بأسلوب مؤثر في المستمع بحسب ما يقتضيه المقام.

٢- الرسائل:

برزت الرسائل الفنية في آخر العصر الأموي. أما قبل ذلك فالرسالة امتداد للكلام الاعتيادي؛ فهي خالية من التكلف، سهلة العبارة، خالية من عبارات التفخيم، تنصب على الغـــرض الـــذي أنشئت من أجله، أما الرسالة الفنية فهي التي يعتني كاتبها باختيار ألفاظها ومعانيهـــا والأســـاليب البلاغية المناسبة لها.

٣- الأمثال:

الأمثال أقوال يتناقلها الناس؛ وهي سائرة بينهم، ويقصد بها تشبيه حال من قيلت فيه بحال من أُنْشئ المثل من أجله.

والفن يبرز في الأمثال؛ لأنها خفيفة الظل تمزج الهزل بالجد وتشير إلى ما تريد بطرف خفي؛ فتعالج كثيراً من الأمور بكلام مختصر يصل إلى أعماق النفس، والمثل يوجد في الشعر ولكن وجوده في النثر أكثر من وجوده في الشعر.

٤- الحِكَم:

الحكم أقوال مأثورة موجزة مؤثرة، تشمل على رأي سديد أو حكم صائب، أو تجربة إنسانية، وتصدر الحكم عن أصحاب الرأي السديد الذين جربوا الحياة وخبروها.

٥- الوصية:

الوصية قول يراد به الترغيب في الخير والابتعاد عن الشر، ويسعى قائل الوصية إلى تجويدها لتؤثر في من ينتفع بها، وهي تقال غالباً في مواقف الفراق، كالإحساس بقرب الموت حيث يوصي الأب أبناءه، أو مفارقة قريب من أجل سفر أو غيره.

٦- المقامة:

المقامة قصة قصيرة تمثل أحداثاً وقعت لشخص أو أشخاص، وتُؤدَّى المقامة بأسلوب أنيق يغلب عليه السجع القصير، وتشتمل المقامة على طُرفة تريح النفوس أو موعظة ترقق القلوب، وتتخللها النوادر والفكاهات والمواقف المضحكة، وتهدف إلى نقد الأشخاص أو المجتمع. وقد ظهرت المقامات في العصر العباسي و لم تعرف قبل ذلك، وأشهر كتاب المقامة بديع الزمان الهمذاني[١] والحريري[٢].

٧- القصة:

القصة أحداث مثيرة تصور نمطاً من الحياة أو أحداثاً معينة يشترك فيها الخيال. وتصاغ بأسلوب مشوق يستهوي القارئ والمستمع، بحيث يبرز فيه سرد الأحداث المثيرة وتتشابك فيه

---

(١) هو أحمد بن الحسين ولد بهمذان وتنقل بين مدن بلاد فارس ثم أقام بهراة وبها توفي سنة ٣٩٨هـ.

(٢) هو أبو محمد القاسم بن علي البصري ولد سنة ٤٤٦هـ وتوفي في البصرة سنة ٥١٦هـ.

الأزمات وتتسلسل فيه الأفكار، وكلما كانت حبكة القصة قوية ومتماسكة كان تأثيرها في القارئ والمستمع أعمق وأظهر.

والقصة إذا كانت طويلة تسمى رواية، وإذا كانت قصيرة تسمى قصة قصيرة، وإذا كانت قصيرة جداً سميت أقصوصة.

٨- المسرحية:

المسرحية فن أدبي يعرض حادثة أو مجموعة حوادث بواسطة ممثلين يقومون بأدوارهم على خشبة المسرح أو يتخذون الحوار أساساً لعملهم، وهم يحاكون بعملهم هذا الحياة الحقيقية في بعض صورها.

والمسرحية إما أن تحكي حادثة مفجعة مؤلمة فتسمى (مأساة) أو تحكي حادثة مضحكة فتسمى (ملهاة).

الغرض من دراسة الأدب

١- تهذيب الأخلاق وترقيق العواطف.

٢- الاتصال بالثقافة العامة بجميع أنواعها بما فيها الثقافة الأدبية، والوقوف على القضايا الاجتماعية والفكرية للمجتمع، ثم الإسهام في معالجتها وتوجيهها الوجهة الصحيحة.

٣- نقل التجارب الإنسانية إلى الآخرين، واكتساب الخبرات والمعارف عن طريق قراءة كتب الأدب بقسميها: الشعر والنثر.

٤- التعليم عن طريق المتعة كما في الروايات والمسرحيات.

٥- معرفة النفس الإنسانية ودواخلها وكوامنها من خلال الأدب الذي تنفثه على لسان صاحبها، شعراً كان أو نثراً.

٦- الدعوة إلى الله:

اعتمدت الدعوة الإسلامية في أول أمرها على الخطابة، فعندما نزلت الآية الآمرة بالجهر بالدعوة جمع النبي ﷺ قريشاً وخطب فيهم، ثم توالت خطبه ﷺ، وكانت الخطابة على امتداد التاريخ الإسلامي عماد الدعوة إلى الله، والشعر كان له دور في الدعوة إلى الله في زمن النبي ﷺ؛ فحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك دعوا إلى الإسلام قبل فتح مكة وردوا على المشركين.

والأديب اللبيب هو الذي يعرف كيف يدعو إلى الله وكيف يصل إلى أعماق النفس الإنسانية، وبذلك يكون أقدر من غيره عندما يدعو إلى الإسلام.

٧- الترويح عن النفس.

العصـور الأدبيـة

ينقسم تاريخ الأدب العربي إلى عصور هي:

١- **العصر الجاهلي**: يبتدئ هذا العصر مع أول شعر وصلتنا روايته ويقدر ذلك بـ ٢٠٠ سنة قبل الإسلام وينتهي بظهور الإسلام، وتأثيره في الأدب.

٢- **عصر صدر الإسلام**: بداية هذا العصر هو ظهور الإسلام وتأثيره في الأدب، ونهايته هي نهاية حكم الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

٣- **العصر الأموي**: يبدأ سنة ٤١هـ عندما انتقلت الخلافة إلى معاوية رضي الله عنه، وينتهي سنة ١٣٢هـ عندما سقطت الدولة الأموية.

٤- **العصر العباسي**: يبدأ بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ، وينتهي بسقوطها سنة ٦٥٦هـ.

٥- **عصر الدول المتتابعة**: يبدأ هذا العصر باستيلاء التتار[١] على بغداد سنة ٦٥٦هـ، وينتهي بتأثير الحضارة الأوروبية في الأدب العربي وذلك بداية القرن الثالث عشر الهجري. ويشمل هذا العصر حكم التتار لشرقي البلاد الإسلامية وحكم المماليك لمصر، وحكم الأتراك العثمانيين للبلاد الإسلامية.

٦- **العصر الحديث**: يبتدئ هذا العصر بقيام الحركات الإصلاحية في بعض البلاد العربية كحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في شبه الجزيرة العربية – في منتصف القرن الثاني عشر الهجري- كما يعد التأثير الأوربي (سلباً أو إيجاباً) – في بداية القرن الثالث عشر الهجري- ذا أثر بيَّن في بعض البلاد العربية كما هو الحال في سوريا ولبنان ومصر. ويمتد هذا العصر إلى أيامنا هذه.

---

(١) خليط من شعوب وسط آسيا وشمالها فيهم المغول والأتراك وغيرهم ولهم الآن جمهورية في الاتحاد السوفيتي تعرف باسمهم وسكانها خمسة ملايين.

مناقشـــــــة

١- عرف الأدب.

٢- اذكر أنواع الشعر، وعرفها.

٣- اذكر أنواع النثر إجمالاً.

٤- تحدث بإيجاز عن أربعة من أغراض دراسة الأدب.

٥- يُقسم تاريخ الأدب إلى عدة عصور. اذكرها محدداً بداية كل عصر ونهايته.

العصر الجاهلي

لمحة عن حياة العرب في العصر الجاهلي.

(أ) الحياة الاجتماعية:

ينقسم المجتمع العربي في العصر الجاهلي إلى قسمين: بدو وحضر، فالبدو يسكنون الصحاري، والحضر يسكنون القرى والمدن.

فبلاد اليمن عرفت الحضارة والتمدن، ومكة في تهامة مدينة تجارية، ويثرب التي هي المدينة المنورة مدينة تعتمد على الزراعة، وحَجْر في اليمامة مدينة تعتمد على الزراعة والتجارة، وهَجَر التي هي الأحساء مدينة تعتمد على الزراعة.

وقد قامت للعرب تجمعات حضارية في العراق والشام، ففي العراق قامت دولة المناذرة، وفي الشام دولة الغساسنة، ومعيشة العرب تخضع لنوع الحياة التي يعيشونها، ففي المدن حياة فيها نوع من الترف حيث تتوافر الحبوب والزيوت والملابس والفرش وهذا النابغة الذبياني يصور جانباً من حياة علية القوم في جلّق حيث يقول:

رقاقُ النِّعال طَيِّبٌ حُجُزَاتُهُمْ ... يُحَيَّونَ بالريحانِ يومَ السَّبَاسِبِ[1]

تُحِيِّيهُمُ بِيضُ الولائِدِ بَيْنَهمْ ... وأَكْسِيَةُ الإِضْرِيجِ فَوْقَ المشَاجِبِ[2]

يَصُونونَ أجْسَاداً قديماً نعيمُهَا ... بخَالِصَةِ الأَرْدَانِ خُضْرِ المَنَاكِبِ[3]

وفي القرى يقتات الناس على التمر والحبوب واللحوم وهي قليلة. وفي البادية يعيشون على ألبان الإبل والضأن. ويعتمد البعض على الصيد بالإضافة إلى الحبوب، والحياة في البادية فيها

---

(١) رقاق النعال: أي نعالهم ليست غليظة. طيب حجزاتهم: كناية عن إعفاء الفروج. الريحان: كل نبات طيب الرائحة. يوم السباسب: يوم عيد لهم.

(٢) الولائد: جمع وليدة وهي الأمة الشابة: الإضريج: الخز الأحمر. المشاجب: أعواد تعلق عليها الثياب.

(٣) خالصة الأردان خضر المناكب: نوع من الثياب. والأردان: الأكمام وهي خالصة من نوع واحد أما مناكبها فهي خضر. والأبيات في ديوان النابغة ص ٤٧.

مشقة، والحصول على القوت في سنوات الجدب ليس سهلاً، ومن هنا كان للكـــرم دور فعـــال وأصبح من الصفات التي تنهض بصاحبها وتسمو به على مرتبة الشرف.

والعرب لهم مثل عليا يعتمدون عليها في تنظيم حياتهم، وفي علاقاتهم مع بعضهم؛ فمن تلـــك المثل: حفظ حق الجار سواء كان لاجئاً أو جاراً عادياً، ومنها الوفاء بالعهد، ومنها نجدة المستنجد، وحماية الضعيف، والعفو عند المقدرة، والأنف، وإباء الضيم، وإذا أخل واحد منهم بـــصفة طيبـــة تعارفوا عليها فإنهم يعلنون ذلك على الملأ في الأسواق العامة بل يرفعون لواء في سوق عكـــاظ أو غيره علامة على التشهير به. ولذلك فإن الحادرة الذبياني يعتز بأنه لم يُرْفَع لواء لأحد من قبيلتـــه وذلك في قوله:

أَسُـمَيَّ ويحـكِ هـل سَـمِعْتِ بغـدْرَةٍ رُفِـعَ اللـواءُ لنـا بهـا في مَجْمَـعِ[1]

وبجانب هذه المثل توجد عادات سيئة منها: شرب الخمر، ولعب القمار، يقول طرفة[2]:

ومـازالَ تَـشْرَابي الخمـور ولـذّتي إلى وبيعـي وإنفـاقي طَرِيفـي وَمُتْلـدي[3]

أن تحـــامتني العـــشيرةُ كلُّهـــا وأفـــردت إفـــراد البعـــير المُعَبَّـد[4]

ومن عاداتهم السيئة: وأد البنات خوف الفقر أو خوف العار إلى غير ذلك من العادات السيئة التي أثرت عنهم.

(ب) الحياة السياسية:

عندما تحدثنا عن الحياة الاجتماعية بيَّنا أن العرب ينقسمون إلى قـــسمين: بـــدو وحـــضر. وسياسة المجتمعات مرتبطة بتكوينها الاجتماعي، فسياسة البدو تختلف عن سياسة الحضر؛ فالبادية تتكون من القبائل، والقبيلة تنقاد لرئيسها الذي نصب نفسه عليها عن طريق اقتناع أفراد القبيلـــة

---

(١) الحادرة: لقبه واسمه قطبة بن محصن بن جرول بن ذبيان وهو من شعراء الجاهلية. والبيت في المفضليات ٤٥.

(٢) هو طرفة بن العبد بن سفيان البكري، شاعر جاهلي عاش في شرق الجزيرة العربية وتوفي سنة ٦٠ قبل الهجرة.

(٣) الطريف ما جمعه. والتالد ما وصل إليه بالإرث والمعنى صرفت مالي القديم والجديد.

(٤) تحامتني: تركتني. البعير المعبد: الأجرب. والبيتان في شرح القصائد التسع ٢٦١/١.

بالصفات التي يتميز بها ذلك الرئيس، وغالباً ما تكون تلك الصفات الشجاعة والكـــرم والحلـــم والعفو والأناة في الأمور. ورئيس القبيلة هو الذي يقودها في الحرب ويدير أمورها في السلم.

ونظام الحضر السياسي يختلف عن القبائل البدوية؛ فسكان مكة من قـــريش لهـــم رئـــيس يخضعون لحكمه ولكنه لا ينفرد بكل شيء وإنما يوزع المناصب التي تدير شؤون مكة بين عدد من أفراد قبيلة قريش؛ فكانت السقاية في بني هاشم، والراية عند أبي سفيان بن حـــرب، ومـــساعدة منقطع الحاج (الرفادة) في بني نوفل، وكان مفتاح الكعبة وحجابتها في بني عبد الدار، وكـــذلك الإشراف على دار الندوة ورئاسة قريش تنتقل من فرد إلى آخر. وقد تولاها أبو سفيان في زمـــن بعثة الرسول ﷺ وهذا النظام خاص بقريش في مكة فلا هو النظام القبلي ولا هو النظـــام الملكـــي السائد في بعض بلاد العرب.

وهناك أنظمة سياسية متشابهة في كل من اليمن والحيرة والشام وشمالي الجزيرة العربية.

ففي اليمن قامت دول كان لها حظ من التنظيم السياسي، وهذه الدول هي دولة معين ودولة سبأ ودولة حمير.

وفي الحيرة قامت دولة المناذرة، ومن ملوكها المنذر بن النعمان والنعمان بن المنذر، وهي إمارة كبيرة وكانت تخضع للفرس ولا تخالفهم.

وفي الشام قامت دولة الغساسنة التي لا يختلف نظامها السياسي عن دولة المناذرة في العراق، وقد قامت هذه الدولة بدعم من الروم.

وهناك دولة كندة التي شملت شمالي الجزيرة العربية فيما يعرف اليوم بلاد الجـــوف وتيمـــاء وحائل والقصيم ويمتد نفوذها – أحياناً – إلى اليمامة، ومن ملوك هذه الدولة الحارث بن عمـــرو وحُجْر والد امرئ القيس الشاعر، وهو الذي زالت دولة كندة على يده عندما قتله بنو أسد.

(ج) الحياة العقلية:

إذا تتبعنا شعر العرب وخطبهم وأمثالهم وحكمهم وجدناها تشتمل على ما أنتجته عقـــولهم

من رأي سديد وفكرة صائبة وإشارة لطيفة، وكان الشعر عندهم له شأن عظيم وكذلك الخطابة؛ فالخطيب والشاعر من المقدمين في المجتمع الجاهلي والعرب ليسوا بمنأى عن الأمم الأخرى، فهم يختلطون بالأحباش والروم والفرس، أما اختلاطهم بالأحباش ففي اليمن، وأما اختلاطهم بالروم ففي سوق دومة الجندل، وأما اختلاطهم بالفرس ففي الحيرة وفي سوق المشقَّر في هجر.

وكان عدد كبير من شعراء العرب ومن رؤسائهم وحكمائهم يفدون على النعمان ملك الحيرة، وعلى كسرى ملك الفرس، وعلى الغساسنة بالشام.

وبالإضافة إلى نقل العلوم من الأمم المجاورة فالعرب لهم معارفهم الخاصة التي ابتكروها من عندهم بسبب الحاجة إليها؛ مثل معرفة الأنساب فهم يحفظون أنسابهم ويعلمونها أولادهم؛ لأنهم في الجاهلية يعتمدون على القرابة؛ فالقبيلة هي التي تحمي أفرادها والذي ليس له قبيلة يلجأ إلى قبيلة تحميه، بل إنهم تعدوا ذلك إلى معرفة الأثر ومعرفة الجاني عن طريق أثره في الأرض، وهذه معرفة دقيقة يترتب عليها حفظ الأمن، والدليل على ذلك أن هذه الخبرة القديمة ما زالت مستعملة حتى الآن.

وكان العرب يعرفون شيئاً من الطب فيداوون مرضاهم بالأعشاب أو بالكي أو ببعض الأدوية الأخرى التي ينقلونها من الأمم المجاورة، وأما معرفة العرب بالنجوم والأنواء فهي متقدمة فهم يعرفون مواسم الأمطار ووقت زراعة الحبوب والأشجار، وهذه المعارف الجاهلية لا زالت سائدة في جزيرة العرب الآن.

ومن معارف العرب الرياضية والفروسية والكر والفر واستعمال أدوات القتال.

أيام العرب وأثرها في الأدب

يقصد بأيام العرب: الأيام التي وقعت فيها حروب، سواء أكانت بين القبائل العربية بعضها مع بعض أم بين العرب وبين جيرانهم من الفرس والأحباش.

وأيام العرب تصور جانباً من حياتهم، فلو تتبعنا حياة العرب في الجاهلية لوجدنا أن الحروب والغارات والحديث عنها، وقول الشعر فيما يتعلق بها يشغل قسماً كبيراً من أوقاتهم على مدار السنة.

وأسباب أيام العرب كثيرة ومتنوعة منها: النزاع على المراعي والنزاع على المياه، والعصبية والانتصار للقبيلة، والأخذ بالثأر، والمحافظة على الشرف والرياسة.

والشعر الجاهلي وثيق الصلة بهذه الأيام فكثير من أغراضه مبني على تلك الأيام؛ فالفخر والحماسة والرثاء والهجاء لها ارتباط واضح بما حصل في تلك الأيام، ومن أيام العرب المشهورة:

يوم ذي قار:

من أشهر أيام العرب كان بين العرب والفرس، وانتصر فيه العرب وكان في مبعث الرسول ﷺ وقد افتخر الشعراء بهذا النصر العظيم، فقال الأعشى من قصيدة:

لو أن كل مَعَدٍّ كان شاركَنَا ... في يوم ذي قارَ ما أخطاهمُ الشرفُ

لما أمالوا إلى النُّشَّاب أيديَهُمْ ... مِلْنا بِبيض لمثل الهام تختطفُ

بَطَارِقٌ وبنو مَلْكٍ مرازبةٌ ... من الأعاجم في آذانِها الشُّنُفُ

كأنما الآلُ في حافات جَمْعِهمُ ... والبيضُ برقٌ في عارض يَكِفُ

ما في الخدودِ صدودٌ عن سيوفهمُ ... ولا عن الطعن في اللبَّاتِ مُنْحَرفُ

وقال العُدَيْل بن الفَرْخ العجلي:

ما أوقدَ الناسُ من نار لمكْرُمَةٍ ... إلا اصْطَلَيْنا وكُنَّا موقدي النار

وما يعدُّون من يوم سمعتُ بهِ للناس أفضلَ من يوم بذي قار
جئنا بأسلابهمْ والخيلُ عابسةٌ لما استَلَبْنا لكسرى كلَّ أسوار

يوم خزازي:

كان بين اليمنيين والمعديين، و لم تزل اليمن قاهرة لمعد حتى كان هذا اليوم، فانتصرت معد وصارت لها المنعة، و لم تزل كذلك حتى جاء الإسلام وكان هذا اليوم بزعامة كليب بن ربيعة التغلبي وفي هذا اليوم يقول عمرو بن كلثوم التغلبي:

ونحن غَداةَ أُوقدَ في خزازى رَفَدنا فوق رفْد الرافدينا
وكُنَّا الأيمنين إذا الْتَقَيْنا وكان الأيْسرين بنو أبينا
فصالوا صولةً في من يليهم وصُلْنا صولةً في من يلينا
فآبوا بالنِّهابِ وبالسبايا وأُبْنَا بالملوكِ مصفَّدينا

مناقشـــــــة

١- قامت للعرب في الجاهلية إمارات في الجزيرة العربية. اذكرها

٢- اذكر ما تعرفه عن معارف العرب العقلية.

٣- ما أسباب الحروب التي تقع بين العرب في العصر الجاهلي؟

٤- بَيْن مَنْ وقع يوم ذي قار، وما نتيجته؟

الشعـر الجـاهلي

نشأة الشعر الجاهلي وروايته:

الشعر هو الأثر الذي حفظ لنا حياة العرب في جاهليتهم.

والشعر العربي قديم ولكن الذي وصل إلينا هو ما قيل في العصر الجاهلي. ومن أقدم ما وصل إلينا أشعار المهلهل بن ربيعة وامرئ القيس وغيرهم من شعراء الجاهلية، فأول من قصد القصائد وأكثر من قول الشعر الذي وصل إلينا هو المهلهل بن ربيعة التغلبي، ثم أمرؤ القيس. وشعر امرئ القيس أقدم شعر جيد، ويعتبر رائد الشعر الجاهلي لأن شعره هو أول شعر قوي مكتمل يتناقله الرواة.

وقد عاش امرؤ القيس في النصف الأول من القرن السادس الميلادي ويأتي بعده من الشعراء المشهورين الحارث بن حِلِّزَة اليشكري البكري. ويليه عمرو بن كلثوم التغلبي، ثم عنترة العبسي، ويلي عنترة زهير بن أبي سُلْمَى، واشتهر النابغة الذبياني والأعشى ولبيد بن ربيعة العامري الذي أدرك الإسلام وأسلم. فهؤلاء الشعراء وصلت إلينا أشعارهم، وكلهم قد عاشوا في العصر الجاهلي.

وقد وصل إلينا الشعر العربي عن طريق الرواية، فمنذ أن عرف الشعر الجاهلي وله رواة ينقلونه إلى من بعدهم.

وبعد انتهاء القرن الهجري الأول برز في الكوفة والبصرة رواة نذروا أنفسهم لرواية الشعر بل إنهم جعلوا رواية الشعر وتدوينه حرفة لهم، ومن أشهر هؤلاء: أبو عمرو بن العلاء، وحماد الرواية، والمفضل الضبي، والأصمعي.

وقد دونت هذه الروايات في دواوين شعرية نجدها بين أيدينا الآن ومنها: المفضليات، والأصمعيات، وحماسة أبي تمام، وحماسة البحتري، وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي.

أغراض الشعـر الجـاهلي

أغراض الشعر الجاهلي هي الموضوعات التي نظم فيها شعراء الجاهلية شعرهم؛ فإذا كان قصد الشاعر وغرضه من الشعر الاعتزاز بنفسه أو قبيلته فشعره فخر، وإذا كان قصد الشاعر التعبير عن الإعجاب بشخص ما في كرمه أو شجاعته أو غير ذلك فشعره مدح، وإذا كان قصده وغرضه النيل من شخص ما تحقيره فذلك الهجاء، وإذا كان الشاعر يهدف إلى إظهار الحزن والأسى فذلك الرثاء، وإذا حَلَّقَ الشاعر في الخيال فرسم صوراً بديعة فذلك الوصف، وإذا عَبَّر عن حديثه مع النساء فذلك الشعر هو الغزل، وإذا استعطف بشعره أميراً أو غيره فهو الاعتذار، وإذا نظر في الكون وحياة الناس فتلك الحكمة.

والقصيدة الواحدة في العصر الجاهلي تشمل عدداً من الأغراض؛ فهي تبدأ بالغزل ثم يصف الشاعر الصحراء التي قطعها ويتبع ذلك بوصف ناقته، ثم يشرع في الغرض الذي أنشأ القصيدة من أجله من فخر أو حماسة أو مدح أو رثاء أو اعتذار، ويأتي بالحكمة في ثنايا شعره فهو لا يخصص لها جزءاً من القصيدة.

وفيما يلي أهم أغراض الشعر الجاهلي:

المـدح:

يعتبر من أهم الأغراض التي قال فيها شعراء الجاهلية شعرهم؛ وذلك أن الإعجاب بالممدوح والرغبة في العطاء تدفعان الشاعر إلى إتقان هذا الفن من القول، فيسعى الشاعر إلى قول الشعر الجيد الذي يتضمن الشكر والثناء، وقد يكون المديح وسيلة للكسب. والصفات التي يُمْدَحُ بها الممدوح هي: الكرم والشجاعة ومساعدة المحتاج والعفو عند المقدرة وحماية الجار، وكثير من شعراء الجاهلية قالوا شعراً في هذا الغرض، فهم يمدحون ملوك المناذرة في الحيرة أو ملوك الغساسنة في الشام ويأخذون عطاءهم وجوائزهم. وكانت صلة طرفة بن العبد والمتلمس والنابغة الذبياني

وثيقة بملوك الحيرة، ولا يقل بلاط الغساسنة عن بلاط المناذرة في استقبال الشعراء فهم يغدقون المال الوفير على من يمدحهم من الشعراء، ومن أشهر الشعراء الذين وفدوا على ملوك غسان، النابغة الذبياني وحسان بن ثابت. ومن فحول الشعراء من جعل غُرَّ قصائده في رؤساء قومه كما فعل زهين بن أبي سلمى.

الهجـــاء:

غرض الشاعر وهدفه من الهجاء: تجريد المهجو من المُثُل العليا التي تتحلى بها القبيلة، فيجرد المهجو من الشجاعة فيجعله جباناً، ومن الكرم فيصفه بالبخل، ويلحق به كل صفة ذميمة من غدر وقعود عن الأخذ بالثأر.

الرثـــاء:

هو إظهار الحزن والأسى والحرقة بسبب فقد قريب أو عزيز، مع إبراز فضائل الميت وما كان يتحلى به من صفات كريمة.

وتبرز جودة الرثاء إذا كان في ابن أو أخ أو أب؛ فرثاء دريد بن الصمة لأخيه عبد الله من أجود الرثاء، ورثاء الخنساء لأخيها صخر يعتبر من الرثاء المؤثر في النفوس، وكانت تشهد عكاظاً وتدور في السوق وهي في هودج على جمل وقد وضعت علامة على هودجها ثم تقوم بإنشاد الشعر فتؤثر في من تمر به.

وقد تكون اللوعة بادية في الرثاء وإن لم يكن في قريب، نجد ذلك في رثاء أوس بن حَجَر لفَضَالَة بن كلدة حيث يقول:

أَيَّتُهَا النَّفْسُ أَجْمِلِي جَزَعَاً ... إِنَّ الذي تَحْذَرين قد وَقَعَا
إِنَّ الذي جَمَّعَ السَّمَاحةَ والنَّـ ... ـجْدَةَ والحَزْمَ والقُوَى جُمَعَا
الأَلْمَعِيَّ الذي يَظُنُّ لَكَ الظَّـ ... ـنَّ كأَنْ قَدْ رَأَي وَقَدْ سَمِعَا[1]

(١) الألمعي: الذكي الذي إذا سمع أول الكلام عرف آخره. والأبيات في ديوان أوس ابن حجر ص ٥٣ والأغاني ٧٤/١١. وأوس بن حجر شاعر جاهلي من تميم توفي سنة ٣ ق هـ وفضالة بن كلدة من بني أسد.

الفخر والحماسة:

الفخر هو الاعتزاز بالفضائل الحميدة التي يتحلى بها الشاعر أو تتحلى بها قبيلته، والصفات التي يفتخر بها الشعراء هي الشجاعة والكرم والنجدة ومساعدة المحتاج، والفخر يشمل جميع الفضائل. أما الحماسة فهي الافتخار بخوض المعارك والانتصارات في الحروب، فالحماسة تدخل في الفخر ولكن ليس كل فخر حماسة، فنجد الحماسة في أشعار عنترة العبسي وعمرو بن كلثوم، ومعلقة عمرو تفيض بالحماسة ومن ذلك قوله:

ونحن التاركون لما سَخِطْنا ونحن الآخذون إذا رضينا
ونشربُ إن وَرَدْنا الماءَ صفواً ويشربُ غيرُنا كَدَراً وطينا
لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونَبْطِشُ حينَ نَبْطِشُ قادرينا
متى نَنْقُلْ إلى قومٍ رحانا يكونوا في اللقاء لها طَحينا

الغزل:

هو التحدث عن النساء ووصف ما يجده الشاعر حيالهن من صبابة وشوق، وما تُحدِثُ حياةُ الترحال في الصحراء من تفرق بين المحبين. وقد طغى هذا الغرض على الشعراء فأصبحوا يصدِّرون قصائدهم بالغزل لما فيه من تنشيط للشاعر واندفاعه فيقول الشعر، ولما فيه من تنشيط للمستمع لذلك الشعر.

وكان معظم الشعراء يعبرون عن لوعتهم وحبهم في أبيات تصور خلجات النفس وتأثرها بالحب فكان كثير من الغزل في الشعر الجاهلي غزلاً عفيفاً إلا ما كان يصدر من بعض الشعراء الذين يغرقون في وصف مفاتن المرأة كامرئ القيس.

الوصف:

الوصف من الأغراض التي برع فيها شعراء الجاهلية وهو يرد في معظم أشعارهم؛ فالشاعر الجاهلي يركب ناقته في أسفاره، فيصفها وصفاً دقيقاً، وهو يمر بالصحراء الواسعة فيصورها

تصويراً بارعاً، يصف حرارتها في القيظ وما فيها من السراب الخادع، ويصف برودتها في الشتاء، ويركب فرسه للنزهة أو الصيد فيصفه. وقد برع شعراء الجاهلية في وصف الفرس وإعداده للصيد، ونجد ذلك عند امرئ القيس وأبي دؤاد الإيادي.

وغرض الوصف في العصر الجاهلي غرض ليس مقصوداً لذاته وإنما يأتي في عرض القصيدة ليتوصل الشاعر على غرضه الرئيس من المدح أو الهجاء أو الرثاء أو الفخر.

الاعتذار:

الاعتذار هو استعطاف المرغوب في عفوه، حيث يبين الشاعر ندمه على ما بدر منه من تصرَّفٍ سابق.

وتقديم العذر في عرض ملائم يقنع المُعْتَذَرَ إليه المرجو عفوه- يدل على مهارة في القول وتفنن في الشعر.

وزعيم الاعتذار في العصر الجاهلي هو النابغة الذبياني الذي قال أجود اعتذار للنعمان بن المنذر ملك الحيرة، ومما خاطب به النعمان من ذلك الاعتذار قوله:

أتاني – أَبَيتَ اللَّعن – أنك لُمتني ... وتلك التي أهتمُّ منها وأَنْصَبُ
فَبِتُّ كأنَّ العائداتِ فَرَشْنَ لي ... هَراساً به يُعْلَى فراشي ويُقْشَبُ[1]
حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراءَ الله للمرءِ مذهبُ
لئن كُنْتَ قَد بُلِّغْتَ عني خيانةً ... لمُبْلِغُكَ الواشي أَغَشُّ وأَكْذَبُ
ولكنني كنْتُ امرأً لي جانبُ ... من الأرض فيه مستَرادٌ ومذهبُ
ملوكٌ وإخوانُ إذا ما أتيتُهُمْ ... أُحَكَّمُ في أموالهم وأُقَرِّبُ
كفعلكَ في قومٍ أراك اصْطَنَعْتَهُمْ ... فلم ترهمْ في شُكْرِ ذلك أَذْنَبُوا
فلا تَتْرُكَنِّي بالوعيد كأَنَّني ... إلى النَّاس مَطْلِيٌّ به القارُ أَجْرَبُ

(١) الهراس: نوع من الشوك، يقشب: يخالط الفراش. ديوان النابغة ص: ٧٢.

الحكمة:

الحكمة قول ناتج عن تجربة وخبرة ودراية بالأمور. ولها الأثر البالغ في النفوس، فربما اشتهر الشاعر ببيت يشتمل على حكمة جيدة فيحفظه الناس ويتناقلونه، وتشتهر القصيدة أو شعر ذلك الشاعر بسبب تلك الحكمة، والحكمة ليست غرضاً مقصوداً لذاته وإنما هي من الأغراض التي تأتي في عروض الشعر.

وقد اشتهر عدد من الشعراء بحكمهم البليغة، ومن أولئك زهير بن أبي سلمى الذي بث حكمه القوية في شعره فاشتهرت وتردّدت على ألسن الناس قديماً وحديثاً، وإذا نظرنا في معلقة زهير وجدناها تحظى بالكثير من حكمه ومن ذلك قوله:

ومَنْ هَابَ أسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ ... ولَوْ رامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ (١)

وقوله:

ومهما تكنْ عند امرىءٍ من خليقةٍ ... وإن خالها تخفي على الناس تُعلم (٢)

ومثل زهير، علقمة بن عَبَدَة الذي يقول:

والحمدُ لا يُشْتَرَى إلا لـه ثَمَنٌ ... مِمَّا يَضِنُّ بـه الأقْوَامُ مَعْلُومُ

والجودُ نَافِيَةٌ لِلْمَالِ مُهْلِكَةٌ ... والبُخْلُ بَاقٍ لأهْلِيْهِ ومَذْمُومُ

وقد تأتي الحكمة في صورة نصيحة وإرشاد كما فعل المثقب العبدي في قصيدته التي أولها:

لاَ تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تُرِدْ ... أَنْ تُتِمَّ الوَعْدَ في شيء نَعَمْ

حَسَنٌ قَوْلُ نَعَمْ من بَعْدِ لا ... وقَبِيْحٌ قَوْلُ لا بَعْدَ نَعَمْ

والحكم في الجاهلية تعبر عن التمسك بالمثل العليا السائدة في المجتمع، فهي ترشد إلى الأخلاق الفاضلة التي ترفع من قدر الإنسان عندما يتمسك بها، والحكمة ليس لها مكان معين في القصيدة؛ فقد تأتي مبثوثة في القصيدة، وقد تأتي في أول القصيدة أو في آخرها.

---

(١) انظر القصيدة في شرح القصائد التسع ١/ ٣٤٨.

(٢) خليقة: صفة خُلُقيَّة.

خصائص الشعـر الجـاهلي

(أ) خصائص المعاني:

معاني الشعر هي الخواطر والنـــزاعات التي تجول في ذهن الشاعر فلا نعرفها حتى يؤديهـــا في قوالب شعرية؛ فالمعنى في الشعر كالروح في الجسد؛ فالروح هي قوام الجسم ولكنها لا توجـــد إلا حيث يوجد الجسم وكذلك المعنى في الشعر لا يوجد إلا بوجود الألفاظ.

ومما تتميز به معاني الشعر الجاهلي ما يلي:

١- **البساطة**: فهي تعبر عن قصد الشاعر في سهولة ويسر بحيث يعرف السامع ما يريد الشاعر منذ سماعه للبيت أو الأبيات التي تحمل المعنى، وسبب السهولة هو أن المعاني تعبر عن أشياء محسوسة.

٢- **الوضوح وعدم التعقيد أو التكلف**. فالشعر يقال على البديهة أحياناً أو يقال اســـتجابة للرغبة التي يحس بها الشاعر، وأما ما ينقل عن زهير بن أبي سلمى من أنه يُعِدُّ شعره قبـــل عرضه على الناس بزمن طويل فإن ذلك لا يدخل في باب التكلف وإنما يريد زهير تجويـــد شعره بإعادة النظر فيه عدة مرات قبل عرضه على الناس وانتشاره بينهم.

٣- **الاعتدال في أداء المعنى وعدم المبالغة**: وليس معنى ذلك أن المبالغة غير موجودة، فالشعر الجاهلي فيه بعض المبالغات ولكنها قليلة إذا قورنت بالمبالغة في الـــشعر العباســـي، ومـــن الأبيات التي تشتمل على المبالغة قول النابغة الذبياني في صفة السيوف:

تَقُدُّ السَّلوقيَّ المضاعفَ نَسْجُهُ وتُوقِـدُ بالصُّفّاحِ نـارَ الحُباحِبِ[1]

٤- **التصاقها بالمحسوس من الأشياء وابتعادها عن الجدل العقلي.**

---

(١) السلوقي: الدرع المنسوبة إلى سلوق. الصفاح: الحجارة، وأراد بها الخوذة التي يقي بها الجند رؤوسهم. نار الحباحب: ذباب له شعاع بالليل.

٥- **عدم الترتيب:** فالمعاني التي تشتمل عليها القصيدة غير مرتبة فكل بيت يستقل بمعناه، ولو أردنا أن نغير ترتيب البيات في القصيدة لما تأثر المعنى العام؛ لأن البيت لا يؤدي معناه إلى ما بعده من الأبيات إلا في القليل النادر، أما الشئ الذي يغلب على القصائد فهو استقلال كل بيت بمعناه دون ارتباطه بما قبله أو بما بعده.

٦- **تشابه المعاني بين الشعراء.** فنجد المعاني التي يطرقها الشعراء متشابهة في الفخر والمدح والرثاء وغيرها ولذلك لم يجرؤ أي شاعر على ابتكار معان جديدة فأصبحت المعاني الجاهلية تتشابه في معظم القصائد.

(ب) خصائص الألفاظ:

الألفاظ هي الوعاء الذي يحتوي تلك المعاني التي تقدم ذكرها. ومما تتميز به ألفاظ الشعر الجاهلي ما يلي:

١- **خلوها من التكلف والمحسنات اللفظية.**

٢- **الميل إلى القوة والجزالة.** وخاصة في مواقف الحروب والحماسة والمدح، على أنه لا يخلو الشعر الجاهلي من بعض الألفاظ التي توصف بالرقة والعذوبة وخاصة في مواقف الغزل ووصف الأطلال والديار.

٣- **غلبة استعمال الألفاظ لأداء المعنى الحقيقي.** أما الألفاظ التي تعبر عن المعاني المجازية فهي قليلة.

المعلقـــات

المعلقـات:

قصائد طوال من الشعر الجاهلي حافلة بالمعاني والأغراض، في جزالة لفظ وقوة رصف ودقـة تركيب.

وقد عَرَفَ الناس قدر المعلقات وقيمتها فقدموها على غيرها وجعلوا شعراءها أئمة للـشعراء في العصر الجاهلي وما تلاه من عصور، ومازال المتذوقون للشعر يعترفون بتقديم شعراء المعلقـات. وسميت تلك القصائد بالمعلقات لأنها علقت بأستار الكعبة، وتعليق الشعر الجيد على الكعبة لـيس غريباً فمن عادة العرب أن يعلقوا الأمور المهمة على الكعبة؛ فعندما طال النـزاع بين الـنبي ﷺ وقريش اتفقت قريش فيما بينها على أن تقاطـع بني هاشم فلا يزوجونهم، ولا يتزوجون منـهم، ولا يبيعونهم شيئاً، وتعاهدوا على ذلك وكتبوا ذلك العهد في صحيفة علقوها في جوف الكعبة.

ومن أسماء المعلقات السموط وهي العقود؛ فالعرب يشبهون القصيدة الجيدة بالعقـد الـذي يعلق في صدر الحسناء، ومن أسمائها المذهّبات لأن تلك القصائد كتبت بماء الذهب قبل تعليقهـا، ومن أسمائها القصائد المشهورات؛ لأنها اشتهرت أكثر من غيرها، وسميت أيضاً الـسبع الطـوال الجاهليات، والتزم بهذا الاسم من رأى أن المعلقات سبع.

وأصحاب المعلقات الذين اتفق عليهم أكثر الرواة هم:

١ - امرؤ القيس، ومطلع معلقته:

قِفَانَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسِقْطِ اللَّوىَ بينَ الدَّخولِ فَحوْمَلِ [(١)]

٢- طرفة بن العبد البكري، ومطلع معلقته:

لِخوْلةَ أَطْـــلاَلٌ ببرْقَـةِ ثَهْمَدِ تَلوحُ كَبَاقي الوَشْمِ في ظَاهرِ اليدَ [(٢)]

---

(١) سقط اللوى، الدخول، حومل: اسماء مواضع.

(٢) الأطلال: ما شخص من آثار الديار. البرقة: حجارة يخالطها رمل. وثهمد: هضبة قرب القاعية في عالية نجد. الوشم: الخضاب.

٣- زهير بن أبي سلمى المُزني، ومطلع معلقته:

أَمِن أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّم بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فالمُتَثَلَّم[١]

٤- لبيد بن ربيعة العامري، ومطلع معلقته:

عَفتِ الدِّيارُ محلُّهَا فَمُقَامُها بِمِنىً تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجامُها[٢]

٥- عمرو بن كلثوم التغلبي، ومطلع معلقته:

أَلاَ هُبِّي بصَحْنِكِ فاصْبَحينَا ولا تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدرِينَا[٣]

٦- عنترة بن شداد العبسي، ومطلع معلقته:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ من مُتَرَدَّمِ أَمْ هَلْ عرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ[٤]

٧- الحارث بن حلزة اليشكري، ومطلع معلقته:

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ[٥]

٨- الأعشى: ميمون بن قيس، ومطلع معلقته:

ودِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ وهَلْ تُطيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ

وقد جعل بعض الرواة معلقة الأعشى القصيدة التي مطلعها:

ما بكاءُ الكَبِيرِ فـي الأَطْلالِ وسُـؤَالِي ومَا تَرُدَّ سُؤِالي[٦]

---

(١) الدمنة: الأثر والرماد. وحومانة الدراج: اسم موضع في شمالي القصيم قريب من القيصومة (قيصومة النباج) والمتثلم: جبل في الجواء في القصيم.

(٢) عفت: درست: المحل: الموضع والمكان. والمقام: الإقامة. منى: هضبة حمراء فيها ماء قريبة من بلدة نفي وتبعد عن الدوادمي تسعين كيلا من جهة الشمال. تأبد: توحش. غول: جبل أحمر فيه ماء ويقع جنوبي منى ويبعد عنها اربعين كيلا. الرجام: هضاب صغار على رؤوسها حجارة وتعرف اليوم باللجام وتقع بين غول ومنى.

(٣) هبي: أي قومي من نومك. والصحن: القدح القصير الحيطان. أصبحينا: قدمي لنا الصبوح وهو ما يشرب في الصباح. الأندرين: موضع بالشام مشهور بجودة خموره. ويقصد بقوله: ولا تبقى خمور الأندرينا: أي لا تخفي الخمر الجيدة وتعطينا الرديئة.

(٤) يقال: ردمت الشيء: أي أصلحته. ومعنى (هل غادر الشعراء من متردم) أي هل ترك الشعراء معنى لم يطرقوه!

(٥) آذنتنا: أخبرتنا. البين: الفراق. والثاوي: المقيم.

(٦) يقول: ما بكاء شيخ كبير مثلي وسؤالي من لا يرد عليّ.

٩- النابغة الذبياني، ومطلع معلقته:

يا دَارَ مَيَّةَ بالعَلْيَـــاءِ فالسَّنَـــدِ أقْوَتْ وَطالَ عَلَيْها سالَفُ الأبَدِ[١]

ويرى بعض الرواة أن معلقة النابغة هي القصيدة التي مطلعها:

عوُجُوا فَحَيُّوا لِنُعْمٍ دِمْنَةَ الـــدَّارِ ماذَا تُحَيُّون من نُؤْيٍ وأَحْجَـــارِ[٢]

١٠- عبيد بن الأبرص، ومطلع معلقته:

أَقْفَرَ مـــــن أَهْلِـــــهِ مَلْحُوبُ فالقُطَّبِيَّـــــــاتُ فالذَّنُـــوبُ[٣]

---

(١) العلياء: الأرض المرتفعة. السند: ما علا من سفح الجبل. أقوت: خلت من أهلها. الأبد: الدهر.

(٢) عوجوا: قفوا. الدمنة ما بقي من آثار الديار. النؤي: حفر حول الخباء لمنع المطر من الدخول إلى الخيمة.

(٣) ملحوب: منهل في شمالي القصيم يبعد عن بريدة ستين كيلا. القطبيات: هضاب في غربي القصيم وهي قريبة من سواج. الـــذنوب: ثـــلاث هضاب غرب بلدة عفيف بما يقارب تسعين كيلا.

مناقشـــــــة

١- يعتمد العرب في حفظ أشعارهم على الرواية. ما أثر الرواية في حفظ الشعر؟

٢- اذكر خمسة من رواة الشعر في القرن الثاني الهجرى.

٣- اذكر أغراض الشعر الجاهلي إجمالاً.

٤- انفرد بالاعتذار شاعر من شعراء العصر الجاهلي. فمن هو؟

٥- ما السمات التي تميز معاني الشعر الجاهلي؟

٦- اذكر خصائص ألفاظ الشعر الجاهلي.

٧- ما المعلقات؟ و لم سميت بذلك؟ واذكر بعض أسمائها الأخرى التي اشتهرت بها.

٨- اذكر مطالع المعلقات العشر مع ذكر أصحابها.

نماذج من الشعر الجاهلي

(١) في الكرم لحاتم الطائي[١]:

١- مهلاً نوارُ أقلي اللومَ والعذلا ... ولا تقولي لشيءٍ فات: ما فَعَلاَ

٢- ولا تقولي لمالٍ كنتُ مهلكَةً ... مهلاً، وإن كنتُ أعطي الجنَّ والخَبَلا[٢]

٣- يرى البخيلُ سبيلَ المال واحدةً ... إن الجوادَ يرى في ماله سُبُلاَ

٤- إن البخيلَ إذا ما مات يتبعُه ... سوءُ الثناء ويحوي الوارثُ الإبلاَ

٥- فاصْدُقْ حديثَك إن المرء يتبعهُ ... ما كان يَبْني إذا ما نَعْشُهُ حُمِلاَ

٦- ليت البخيلَ يراه الناس كُلُّهُمُ ... كما يراهم، فلا يُقْرَى إذا نَزَلاَ

٧- لا تَعذِليني على مالٍ وصلتُ به ... رحماً، وخيرُ سبيل المال ما وصَلاَ

٨- يسعَى الفتى، وحِمَامُ الموتِ يدْركُهُ ... وكُلُّ يوم يُدَنِّي للفتَى الأجَلاَ

٩- إني لأعلم أني سوف يدركُني ... يومي وأصبحُ عن دنياي مُشْتَغِلاَ

(٢) في الوصف لأوس بن حجر[٣]:

١- إني أرِقتُ ولم تَأرَقْ معي صاحِ ... لِمُسْتَكِفٍّ بُعَيْدَ النوم لَوَّاحِ[٤]

٢- يا من لبرق أبيتُ الليل أرقُبه ... في عارض كمضيء الصُّبْحِ لَمَّاحِ

---

(١) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي فارس شاعر جواد، يضرب المثل بكرمه وقد توفي سنة ٤٦ قبل الهجرة. والنص في ديوان حاتم ص ٢٠٠.

(٢) الخبل: الإنس.

(٣) أوس بن حجر بن مالك التميمي شاعر جاهلي ولد سنة ٩٨ ق هـ وتوفي سنة ٢ ق هـ. والأبيات في ديوانه ص ١٥.

(٤) المستكف: المطر الهاطل.

٣- دانٍ مُسِفٍّ فُوَيْقَ الأرض هَيْدبُهُ يكادُ يدفعُه من قام بالراحِ[١]
٤- كأنَّ رَيِّقَهُ لما علا شَطَباً أقْرَابُ أبْلَقَ يَنْفي الخَيْلَ رَمَّاحِ[٢]
٥- هبَّت جنوب بأعلاهُ ومال به أعجازُ مزنٍ يسح الماء دلاحِ[٣]
٦- فالْتَجَّ أعلاه ثم ارْتَجَّ أسفلهُ وضاق ذرعاً بحمل الماء مُنْصَاحِ[٤]
٧- كأنما بين أعلاهُ وأسفَلِهِ رَيْطٌ منشَّرةٌ أو ضوءُ مصباحِ[٥]
٨- فأصبح الروضُ والقيعانُ ممرعةً من بين مُرْتَفِقٍ منها ومُنْطَاحِ[٦]

(٣) في الحكمة لعلقمة بن عبدة[٧]:

١- والحمدُ لا يُشْتَرَى إلا له ثمنٌ مما يَضِنُّ به الأقوامُ معلومُ
٢- والجود نافية للمال مَهْلكَةٌ والبخلُ باقٍ لأهليه ومذمومُ
٣- والمالُ صوفُ قَرَارٍ يلعبون بهِ على نقَادِتِهِ وافٍ وَمَجْلُومُ[٨]
٤- ومُطْعِمُ الغُنْمِ يوم الغُنْمِ مُطعَمُهُ أنَّى تَوَجَّه والمحروم محرومُ
٥- والجهل ذو عَرَضٍ لا يستِرادُ لهُ والحِلْمُ آونةً في الناسِ مَعْدَومَ
٦- ومن تعرض للغربان يزجُرها على سلامته لابُدَّ مَشْؤوم
٧- وكل حصن وإن طالتْ سلامتُه على دعائمه لابد مهدومُ

---

(١) مسف: شديد الدنو، هيدبه: ما تدلى منه.

(٢) ريقه: ما اشرف منه. شطب: جبل شمالي القصيم. الأقراب: جمع القرب وهو الكشح (ما بين الخاصرة والضلوع) أبلق: أبيض وأسود.

(٣) دلاح: مثقل بالماء.

(٤) التج: صوت من اللجة، منصاح: منشق بالماء.

(٥) الريط: الملاءة.

(٦) المرتفق: ماء راكد. المنطاح: ماء سائل.

(٧) علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس من بني تميم توفي سنة ٢٠ ق. هـ. ويلقب بالفحل؛ لجودة شعره وتقدمه على امرئ القيس في بعض القصائد.

(٨) قرار: غنم صغار الأجسام. على نقادته: على صغر أجسامه. الوافي: التام الكثير. المجلوم: المجزوز.

(٤) في الحكمة أيضاً للمثقب العبدي[١]:

١- لا تقولَن إذا ما لم تُرِد ... أنْ تُتِمَّ الوعدَ في شيء نَعَمْ

٢- حسنٌ قولُ نَعَمْ من بعد لا ... وقبيحٌ قول لا بعد نَعَمْ

٣- إنَّ لا بعد نعم فاحشةٌ ... فَبِلا فابدأ إذا خفت النَّدَم

٤- فإذا قلتَ نعم فاصبرْ لها ... بنجاح القول إنّ لخلفَ ذَم

٥- واعلم إنَّ الذَّمَّ نقصٌ للفتى ... ومتى لا يَتَّقِ الذَّمَّ يُذَم

٦- أُكرِمُ الجَارَ وأرعى حقَّهُ ... إنَّ عرفانَ الفتى الحقَّ كَرَمْ

٧- أنا بيتي من مَعَدٍّ في الذُّرَى ... ولِيَ الهامةُ والفرعُ الأشم

٨- لا تراني راتعاً في مَجْلِسٍ ... في لُحُومِ النَّاس كالسَّبْعِ الضَّرِمْ[٢]

٩- إن شَرَّ الناسِ مَنْ يَكْشُر لي ... حين يلقاني وإن غِبْتُ شَتَمْ[٣]

١٠- وكلامٌ سيءٌ قد وُقِرَتْ ... أُذُني عنه وما بي من صَمَمْ[٤]

١١- فتَعزَّيتُ خشاةُ أن يَرَى ... جاهلٌ أني كما كان زَعَمْ

١٢- ولَبَعْضُ الصَّفْح والإعراض عَنْ ... ذي الخَنَا أبْقي وإن كان ظَلَمْ[٥]

---

(١) هو العائذ بن محصن بن ثعلبة من بني عبد القيس من ربيعة توفي سنة ٣٥ ق. هـ.

(٢) راتعاً: آكلا، الضرم: الشديد النهم.

(٣) يكشر لي: يضحك ويبدي أسنانه.

(٤) الوقر: ثقل السمع.

(٥) الخنا: الفحش. القصيدة في المفضليات، ص: ٢٩٣.

دراسة مُفصَّلة لبعض شعراء الجاهليين:

امـرؤ القيـــس

حياتـــه:

هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث من قبيلة كندة باليمن، ولد في بلاد بني أسد[1] في نجـد حيث كان والده حُجْر والياً من قبل أبيه على بني أسد وغطفان، وكان جده الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ملكاً عظيماً، ففي بيت الإمارة الكبير ولد امرؤ القيس سنة ١٣٠ ق.هـ ٤٩٧ م. وتفتحت عيناه على مملكة جده الكبيرة، فنشأ في نعمة وترعرع في بيت عز وشرف.

وفي أول شبابه بدأ يميل على اللهو وقول الشعر ومصاحبة الصعاليك، وكان ذلك السلوك لا يرغب فيه والده حجر، فقد كان يتطلع إلى ابن حازم يساعده على الوقوف في وجه الصعاب التي تحدق به، وقد غضب حجر على ابنه وطرده؛ فأخذ امرؤ القيس يقـضي وقتـه في النـزهات المتواصلة واللهو ومعاقرة الخمر.

وبينما هو مقيم مع ندمائه وأصحابه في (دمون) وهي قرية في حضرموت، رزىء بمقتل والده حجر، فقال كلمته المشهورة: " ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً، لا صحو اليوم ولا سكر غـداً، اليوم خمر وغداً أمر". وسبب مقتل والده: أن بني أسد تقاعست عن دفع الإتاوة فأرسـل حجـر جباته وأمرهم بضرب من تقاعس أو تأخر عن دفع الإتاوة، فما كان من بني أسد إلا أن أجمعـوا أمرهم وقتلوا حجراً، وهذا ما أشار إليه امرؤ القيس في قوله:

أتـــاني حـــديثٌ فَكَذَّبْتُـــهُ بـــأمر تَزَعْـــزَعُ منـــه القُلَـــلْ
بقتـــل بـــني أسَـــدٍ ربَّهُـــمْ ألا كُـــلُّ شَـــيء ســـواه جَلَـــلْ[2]

ثم مضى امرؤ القيس يطلب ثأر أبيه في بني أسد وأعانه على ذلك أخواله من بكر وتغلب، ثم تخلوا عنه حين لجَّ في الخصومة وأسرف في سفك الدماء والقتل.

---

(١) تعرف اليوم بالقصيم.

(٢) جلل: هين.

وقد ظل شريداً ينتقل بين أحياء العرب، إلى أن نزل على السموأل بتيماء فأجاره، وطلب إليه امرؤ القيس أن يكتب إلى الحارث بن أبي شمر – أمير الغساسنة بالشام- ليوصله إلى قيصر ملك الروم، فأجاب السموأل طلبه، ثم أخذ امرؤ القيس الكتاب واتجه إلى الحارث الغساني في (جِلَّق) الذي ساعده في الوصول إلى قيصر، وسار امرؤ القيس حتى وصل إلى قيصر فاستقبله قيصر وأكرمه وأنجده بجيش كبير، فخرج امرؤ القيس من بلاد الروم فرحاً بما حصل عليه، لكن أحد رجال بني أسد يقال له (الطماح الأسدي) استطاع الوصول إلى قيصر، فوشى بامرئ القيس وأوغر صدر قيصر عليه، فغضب وأمر باسترداد الجيش، وأرسل إلى امرئ القيس حلة مسمومة ما إن لبسها حتى أصيب بعلة تقرح منها جلده، واستبد به المرض والحزن فمات بأنقره، ولذا لقب بذي القروح، كما لقب بالملك الضلِيل.

شعـــــره:

امرؤ القيس شاعر مشهور تناقل الناس شعره في حياته وحفظوه، وأعجبت قريش بمعلقته فعلقتها على الكعبة وهي أول قصيدة تعلق على الكعبة، وقد أخذ الرواة والشعراء يحفظون شعره ويقلدونه، ويجمع مؤرخو الأدب على أنه زعيم الشعراء الجاهليين.

وشعر امرؤ القيس متأثر بحياته التي عاشها فمعظم شعره قاله في وقت شبابه عندما كان يلهو ويمرح وينتقل من غدير إلى آخر ويقضي وقته في الغزل ومحادثة النساء واستماع الغناء، فتلك الحياة اللاهية صورها أدبه خير تصوير، وبعد قتل أبيه تغيرت حياته فتغير أدبه فأصبح يقول قصائد تشمل على الحكمة ومصير الإنسان وما كان يخبئ له القدر من الأحداث الجسيمة. وأهم الموضوعات التي قال فيها امرؤ القيس شعره هي:

١- الغـــــزل:

غزل امرؤ القيس غزل عابث وهو عبارة عن حكايات وقصص طريفة تشتمل على صلته بالنساء وحظوته عندهن، وكان يسبك ذلك الحديث في شعر قصصي طريف، فإذا قرأنا المعلقة

وجدنا فيها وصفاً فيها حياً ليوم دارة جلجل[1] عندما نحر ناقته للعذارى وقضى يومه يشوي اللحم ويلهو مع النساء، قال:

ويــوم عقــرتُ للعــذارى مطــيَّتي فيــا عجبــاً مــن رحلــها المُتَحَمَّــل
فظــل العــذارى يــرتَمِيْنَ بلحمهــا وشــحمٍ كَهــدَّابِ الدِّمقــس المُفَتَّــل[2]

٢- الوصف:

أبدع امرؤ القيس في وصف طول الليل، ووصف الفرس والصيد ووصف السحاب والأمطار نجد ذلك في قصائد مختلفة، وهو في وصفه قد تقدم على غيره من الشعراء؛ مثل قوله في وصــف الفرس:

وقــد أغْتِــدى والطــيرُ في وُكُنَاتِهَــا بِمُنْجَــرِدٍ قَيْــدِ الأوَابَــد هَيْكَــلِ[3]
مِكَــرٍّ مفَــرٍ مُقْبِــلٍ مُدْبِــرٍ مَعــاً كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السّيْلُ مِنْ عَلِ[4]

٣- شكوى الزمان:

بعد أن تغيرت الدنيا على امرئ القيس أصبح يقول شعراً مغايراً لشعره في شبابه، فبعــد أن قتل أبوه أصبح ينظر إلى المستقبل بعين الارتياب، فهو يطالب بدم أبيه دون أن يحصل على طائل. وشكوى الزمان تظهر في هذه القصيدة:

أرانــا مُوضِــعينَ لأمــر غيــبٍ ونُــسْحَر بالطعــام وبالــشراب[5]
فَــبَعْضَ اللــومِ عَــاذِلَتي فــإنِّي ســتكفيني التجــارب وانْتِــسَابي
إلى عِــرْقِ الثــرى وَشَــجَتْ عُرُوقِــي وهــذا المــوت يــسلبني شــبابي[6]

---

(١) دارة جلجل: روضة في هضبة الدواسر بالقرب من وادي الدواسر..
(٢) يشبه الشحم بالحرير المفتول.
(٣) وكناتها: أماكنها. منجرد: قصير الشعر. الأوابد: الوحش. هيكل: ضخم.
(٤) الجلمود: الصخرة الصلبة.
(٥) موضعين: مسرعين.
(٦) وشجت: اتصلت.

ونفسي سوف يسلُبُني وجِرْمي فَيُلْحِقُني وشيكاً بالتراب
وقد طَوَّفْتُ في الآفاقِ حتّى رضيت من الغنيمة بالإيابِ
أبْعَد الحارثِ الملكِ بن عَمْرو وبعد الخيرْ حُجْرٍ ذي القِبَابِ[1]
أُرَجَّي من صُروفِ الدهرِ لِيناً ولم تَغْفُلْ عن الصُّمِّ الهضابِ[2]
واعلم أنّني عمّا قليْلٍ سأنْشَبُ في شَبَا ظُفْرٍ ونَابِ[3]
كما لاقى أبي حُجْرٌ وجَدِّي ولا أنسى قتيلاً بالكُلابِ[4]

فهذه القصيدة تختلف عن القصائد التي قالها في شبابه فكلها شكوى ونظرة إلى المستقبل تحمل الشك والريبة، فالبشر سائرون إلى مصير معروف هو الموت والشواهد على ذلك قائمة، فجد الشاعر وأبوه وعمه ضمَّهم التراب.

وشعر امرئ القيس هو الذي فتح الطريق للشعراء فقلدوه في الأغراض التي قال فيها الشعر، وقد سبق غيره إلى ذكر الأطلال والوقوف عليها، وإلى الغزل الرقيق، وذكر طول الليل، وسبق الشعراء إلى وصف الفرس والسحاب. وهو إمام الشعراء في العصر الجاهلي، به يقتدون وعلى نهجه يسيرون.

(١) الحارث جده وحجر أبوه.
(٢) الصم: الحجارة الصلبة. الهضاب: الصخور الراسية.
(٣) شبا كل شيء: حده.
(٤) الذي قتل بالكلاب هو عمه شرحبيل، والكلاب: ماء في عالية نجد وقعت بقربه المعركة التي قتل فيها عمه.

وصف الليل والفرس والصيد:

من معلقة امرئ القيس

١- ولَيْلٍ كموجِ البحر أرخى سُدُوله ... علـيَّ بـأنواع الهمـوم لِيَبْتَلـي

٢- فقلـتُ لـه لمـا تَمَطَّـى بـصُلبه ... وأردفَ أعجـازاً ونـاءَ بِكَلْكَـلِ

٣- ألا أيهـا الليـلُ الطويـلُ ألا أنْجـلِ ... بـصبحٍ ومـا الإِصْـبَاحُ مِنْـكَ بأَمْثَـلِ

٤- فيالَـكَ مـن ليـلٍ كـأن نُجُومَـهُ ... بكـل مُغَـارِ الفَتْـلِ شُـدَّتْ بِيَـذْبُلِ

٥- كـأن الثريـا عُلِّقَـتْ في مَـصَامِهَا ... بـأَمْراسِ كَتَّـانٍ إلى صُـمٍّ جَنْـدَلِ

٦- وقـد أغْتَـدِي والطـيرُ في وُكُنَاتِهَـا ... بِمُنْجَـرِدٍ قَيْـدِ الأوابـد هَيْكَـلِ

٧- مِكـرٍّ مِفَـرٍّ مقبـلٍ مـدبرٍ مَعـاً ... كجلمودِ صخرٍ حطَّهُ السيْلُ من عَلِ

٨- كُمَيْـتٍ يَـزِلُّ اللِّبْـدُ عـن حَـالِ مَتْنِـهِ ... كمـا زَلَّـتِ الـصَّفْواءُ بـالمُتَنَزِّلِ

٩- مِسَحٍّ إذا ما السابِحَاتُ على الـونَي ... أَثَـرْنَ غُبَـاراً بالكَديـد المُرَكَّـلِ

١٠- يَـزِلُّ الغُـلاَمُ الخِـفُّ عـن صَـهَواته ... ويُلْـوِي بـأَثْوَابِ العَنِيـفِ المُثَقَّـلِ

١١- لـه أَيْطَـلا ظَبْـيٍ وسـاقا نعامـة ... وإِرخـاءُ سـرحانٍ وتقريـبُ تَتْفُـلِ

شرح الأبيات:

(١) سدوله: ستوره.

لقد أحاط بي الليل المظلم وأضفى عليَّ الستور فلا أرى شيئاً، فكان قطع ظلمته أمواج البحر الهائلة، وعندما حجب الرؤية عن عيني أخذت الهموم تنتابني من كل جانب ولكني صـبرت لها.

(٢، ٣) أعجازه: أواخره. ناء: نهض. ككل: صدر. أمثل: أفضل

لقد خاطبت الليل عندما اخذ يمدد جسده؛ فتارة يعرض ظهره وأخرى يجعل عجـزه يتبـع

أوله، وثالثةً يحاول النهوض والزوال فلا يستطيع، خاطبته قائلاً: انكشف وزل أيها الليل الطويل واترك الصبح يظهر فيريحني، ثم رجعت على نفسي فعرفت أن همَّ الليل ليس بأهون من هم الصبح.

(٤) المغار: المحكم الفتل. يذبل: جبل في عالية نجد ويعرف اليوم بصبحا.

إنني أبدي عجبي منك أيها الليل؛ فكأن نجومك ثبتت في أماكنها لا تبرحها وكأنها ربطت بحبال قوية في جبل يذبل.

(٥) مصامها: موضعها. الأمراس: جمع مَرَس وهي الحبال المفتولة. الصم: الصلب. الجندل: الحجارة.

وإذا نظرت إلى الثريا وجدتها ثابتة في مكانها فكأنها قد ربطت بحبال كتان إلى حجارة صلبة.

(٦) أغتدي: أخرج بفرسي في الغداة، عند تباشير الصباح.

وكناتها: أعشاشها. المنجرد: الفرص القصير الشعر. الأوابد: الوحش. الهيكل: الفرس الطويل الضخم.

إنني أعرف وقت الخروج للصيد فأنا أباغته صباحاً قبل أن تغادر الطيور أعشاشها، ووسيلتي لذلك ركوب حصان اكتمل خلقه فهو طويل وضخم.

(٧) الجلمود: الصخر الأصم.

وحصاني معتاد على الكر والفر، فهو يقبل ويدبر ويراوغ الوحش فإذا رايته في معركة مع الفريسة ظننته قطعة حجر دحرجها السيل من أعلى إلى اسفل.

(٨) كميت: أحمر يميل إلى السواد.

اللبد: ما يوضع من قطع الصوف على ظهره. الصفواء: الصخرة الملساء. المتنزل: المطر.

ذلك الحصان لونه أحمر يميل على السواد وهو مكتنز باللحم والشحم، فإذا وضعت شيئاً على ظهره فإنه ينحط عنه كما ينحط المطر من على الصخرة الملساء.

(٩) مسح: كثير الجري. السابحات: التي تسبح في جريها.

الوني: الإعياء. الكديد: ما صلب من الأرض. المُركَّل: ما ركلته بقوائمها..

إن حصاني يسير سيراً سريعاً عندما تفتر الخيل وتتعب فتضرب الأرض بحوافرها من شدة التعب، فإذا رايته مع تلك الخيل فكأنه يسبح في الهواء من سرعة جريه.

(١٠) الخف: الخفيف الجاهل بالركوب. الصهوة: موضع الفارس من ظهر الفرس. العنيف المثقل: الذي لا يحسن الركوب.

إذا حاول الغلام الخفيف ركوب ذلك الجواد زلق عن ظهره وإذا حاول ركوبه الثقيل لوى بثيابه فطرحه وذلك لسرعة عدوه، وإنما يركبه الفارس المتمرس في ركوب الخيل.

(١١) الأيطل: الخاصرة. إرخاء: سرعة في لين. التقريب: دون العدو. تتفل: ولد الثعلب.

لقد أخذ جوادي الصفات الحميدة من كل حيوان أو طير فخاصرته ضامرة تشبه خاطرة الظبي، وساقاه طويلتان تشبهان ساقي النعامة، فإن عدا وأسرع أشبه الذئب، وإن تراخى في عدوه أشبه الثعلب.

النابغة الذبياني

حياتـــــه:

اسمه زياد بن معاوية من بني غيظ بن مرة، ومرة من قبائل ذبيان، وذبيان قبيلة مضرية، وقـــد لقب بالنابغة لنبوغه في الشعر.

وقد نشأ النابغة في بلاد قومه، وكانت أســـرته لها مكانة مرموقة في قبيلة ذبيان.

والنابغة شاعر فحل وقد عُرف بذلك من خلال تقدير الناس له وإعجابهم بشعره، ولـــذلك فقد طلب جوائز الملوك وذهب إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة وأقام عنده وأخذ يمدحه بقصائده الرائعة، وكان النعمان يعطيه العطايا الجزيلة التي تصل إلى مئة ناقة.

وقد استطاع النابغة أن ينال المنـــزلة العالية عند النعمان وأن يتقدم على غيره من الـــشعراء الذين يفدون على ملك الحيرة، وهم كثيرون ومنهم أوس بن حجر التميمى والأعشى ولبيد بـــن ربيعة العامري وحسان بن ثابت.

وعلى الرغم من منـــزلة النابغة عند النعمان فقد ترك الشاعر بلاط النعمـــان وذهـــب إلى الغساسنة في الشام وأقام عند ملك (جلَّق) عمرو بن الحارث الأصغر؛ وذلك حتى يصلح الأمـــور بين عمرو بن الحارث وبين قبيلته (ذبيان) إثر اعتداء القبيلة على حمى الحارث.

وبعد سنوات قضاها في بلاط الغساسنة عاد إلى صاحب نعمته الأولى النعمان بن المنذر ملك الحيـــرة، واعتذر له، وكان النعمان قد غضب عليه، وكيف لا يغضب وهو قد ذهب إلى أعدائه (الغساسنة) وسمح بمدائحه فيهم، ومما قال فيهم:

ولا عيـــب فـــيهم غـــير أن ســـيوفَهم　　بهـــن فلـــولٌ مـــن قِـــراع الكتائـــب

تُـــورِّثُنَ مـــن أزمـــان يـــوم حليمـــةٍ　　إلى اليـــوم قـــد جُـــرِّبْن كُـــلَّ التجـــاربِ

ويوم (حليمة) هو اليوم الذي قَتَل فيه الحارثُ بن أبي شمر الغساني المنذرَ بن ماء السماء والد النعمان بن المنذر، ولكن مهارة النابغة في الاعتذار شفعت له عند النعمان فرضي عنه وقربه، وقـــد بقي ملازماً للنعمان حتى قتل سنة ٦٠٢م، وبعد قتل النعمان عاد النابغة إلى بلاد قومه وأقام فيهـــا سنتين حيث توفي سنة ٦٠٤م ١٨ ق.هـــ.

شعـــــره:

شعر النابغة الذبياني من أجود ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي، وقد شهد لـــه عمـــر بـــن الخطاب بالجودة فعندما وفدت غطفان على عمر رضي الله عنه قال لهم: يا معـــشر غطفـــان، أيُّ شعرائكم الذي يقول:

حلفتُ فلم أتركْ لنفسِكَ ريبةً وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مذهبُ

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين. قال: هذا اشعر شعرائكم.

وقد عده ابن سلام صاحب (طبقات فحول الشعراء) من الطبقة الأولى، بل جعله بعد امرئ القيس مباشرة، وإذا نظرنا في شعر النابغة وجدناه شعراً قد أتقن صنعه، فهو يستحق المنـــزلة التي وضع فيها، فهذا الشعر يجمع بين رقة الحضارة وقوة البداوة. وصاحبه يتعهده بالإتقان؛ لأن معظمه لا يقال إلا في ملك، ولا يلقى إلا في حضرة عدد كبير من الشعراء والنقاد.

وقد قال النابغة الشعر في أغراض مختلفة منها: المدح والاعتذار والرثاء والوصف والحكمة.

المـــــــدح:

يعتبر مدح النابغة من أجود شعر المدح في العصر الجاهلي، وذلك لأنه ينتقي معـــاني المـــدح بحيث ترضي الممدوح وكأنها جديدة لم يسمع بها من قبل، وهو في مدحه يستعمل التشبيه كما في قوله مخاطباً النعمان بن المنذر:

ألم تـــر أن الله أعطـــاك سُـــورَةً تـرى كـل مَلْـكٍ دونهـا يَتَذَبـذَبُ[1]

بأنـــك شـــمسٌ والملـــوكُ كواكـــبٌ إذا طلعـــتْ لم يبـدُ منهـــن كوكـــبُ

وقد سبق النابغة الشعراء الجاهليين إلى بعض معاني المدح مثل مدحه الغـــساسنة بـــالنعيم في قولـــه:

رقـــاق النعـــال طيـــبٌ حُجُـــزَاتُهُمْ يُحَيَّـون بالرَّيحـانِ يَـوْمَ الـسَّبَاسَبِ[2]

---

(١) السورة: المنـــزلة الرفيعة.

(٢) السباسب: عيد.

تحيـــيهُمُ بـــيض الولايـــدِ بيـــنهُمْ وأكسيَةُ الإضْـرِيجِ فـوق المـشاَجِبِ[1]
يـــصونون أجْـــساداً قـــديماً نَعيمُهـــا بخَـالِـــصَةِ الأرْدانِ خُـــضْـر المَنَاكِـــبِ

الاعتـــذار:

يعتبر النابغة رائد هذا الفن من فنون الشعر الجاهلي فمنهجه في الاعتذار هو المنهج الذي سار عليه شعراء الجاهلية. ولكن لم يستطع الشعراء الآخرون أن يجيدوا القول في الاعتذار كما أجـــاد النابغة، فهو يعمد إلى التعليل، وتفتيق المعاني، والمناقشة، وإدخال المدح في قصيدة الاعتذار، وإيراد بعض الأبيات المشتملة على الحكمة؛ فإذا قرأنا قصائد النابغة الاعتذارية وجدنا هذه الصفات تتوافر فيها؛ فقصيدته التي مطلعها:

أتـــاني أَبَيـــتَ اللعْـــنَ- أنَّـــك لُمْتنَـــي وتلـــك الـــتي أَهْـــتَمُّ منهـــا وأَنْـــصَبُ

بدأها بالهم الذي أحاط به، ثم حلف بالله بأنه غير مذنب وذلك في قوله:

حلفـــتُ فلـــم أتـــركْ لنفـــسِكَ ريبـــةً ولـــيس وراءَ اللهِ للمـــرء مـــذهبُ

ثم ناقش المخاطب فيما بلغه عنه وذلك في قوله:

لإِنْ كنـــتَ بُلِّغْـــتَ عـــني خـــيانة لَمُبْلغُـــكَ الواشـــي أغـــشُّ وأكـــذَبُ

و لم يهمل النابغة طلب العفو بل قال:

فـــلا تتركَنِّـــي بالوعـــيد كـــأنني إلى النـــاس مَطْلـــيٌّ بـــه القـــارُ أجْـــرَبُ

وفي آخر القصيدة أشار إلى أن الإنسان لا يخلو من العيوب، وذلك في قوله:

ولـــستَ بِمُـــسْتَبْقٍ أخـــاً لا تَلُمُّـــهُ علـــى شَـــعَثٍ؛ أيُّ الرجـــالِ الْمُهـــذَّبُ

وللنابغة قصائد أخرى في الاعتذار لا تقل جودة عن هذه القصيدة.

الوصـف:

برع النابغة في وصف الليل، وفي تصوير الطيور التي تتابع جـــيش الغـــساسنة، وفي تـــصوير

---

(١) الإضريج: الخز الأحمر.

الكلاب عندما ترسل للصيد.

وبراعة النابغة تظهر في جلب انتباه القارئ ومتابعته للصورة التي يعرضها الشاعر؛ فوصف طول الليل يفضله بعض النقاد على وصف طول الليل عند امرئ القيس. والأبيات التي تصف طول الليل هي:

كِلِيني لهمٍّ يا أُمَيْمةُ ناصِبٍ ... وليلٍ أقاسيه بَطِيءِ الكَوَاكِبِ

تطاوَل حَتي قُلْتُ ليس بمُنْقَضٍ ... وليس الذي يرعى النجومَ بآيبِ[1]

وصدر أراح اللَّيْلُ عازِبَ هَمّهِ ... تَضَاعف فيه الحزنُ من كُلَّ جَانِب

أما الأبيات التي تصور الطيور وهي تتابع جيش الغساسنة فهي:

إذا ما غزوا بالجيش حلَّقَ فوقهم ... عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائب[2]

يُصَاحِبْنَهُمْ حتى يُغرْنَ مُغَارَهُمْ ... من الضَّاريات بالدِّماءِ الدوارب[3]

تراهُنَّ خلفَ القومِ خُزْراً عيونُها ... جُلُوسَ الشُيُوخِ في ثِيَابِ المرَانبِ[4]

الحكمة:

شعر النابغة ينبع من تجربة، وتشمله الحكمة، ولكننا لا نجد قصائد تختص بالحكمة أو أبياتاً متتابعة يقولها الشاعر في الحكمة، وإنما نجد أبيات الحكمة مبثوثة هنا وهناك في قصائده الكثيرة من مثل قوله:

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلُمُّهُ ... على شَعَثٍ أيُّ الرجال المهذَّبِ

ولو لم يكن النابغة حكيماً لما استطاع الرجوع إلى النعمان بعد تهديده إياه، ولما جلس للناس في سوق عكاظ يبين لهم الشعر الجيد من الشعر الردئ دون أن يُغْضِبَ أحَداً.

---

(١) الذي يرعى النجوم: الصبح.

(٢) عصائب: مجموعات.

(٣) الدوارب: المتعودات.

(٤) المرانب: ثياب سود. وخزراً عيونها: تنظر بمآخير أعينها.

من قصيدة النابغة

(كليني لِهَمٍّ)

١- كِلِـيني لِهَـمٍّ يـا أُمَيْمـةُ نَاصـبِ ... وليـلٍ أقاسـيه بَطِـيء الكواكـبِ

٢- تطـاولَ حتـى قلـتُ: لـيس بمـنقضٍ ... ولـيس الـذي يرعـى النجـوم بآيـبِ

٣- وصـدرٍ أراحَ الليـلُ عـازبَ هَمِّـهِ ... تضاعف فيه الحـزنُ مـن كـل جانِـب

٤- علـيَّ لعمـرو نعمـةٌ بعـد نعمـةٍ ... لوالِـدِهِ ليـست بـذاتِ عَقَـارِبِ

٥- وَثِقْتُ له بالنَّـصْرِ إذ قيـل قـد غَـزَتْ ... كَتَائِـبُ مـن غَـسَّانَ غـيرُ أَشَـائِبِ

٦- بنـو عمـه دنْيَـا وعمـروُ بـنُ عـامرٍ ... أولئـك قـومٌ بأسـهُم غـيرُ كَـاذِبِ

٧- إذَا ما غزوا في الجـيش حَلَّـقَ فَـوْقَهُمْ ... عـصائبُ طَيْـرٍ تهتـدي بِعَـصَائِبِ

٨- يُـصَاحِبْنَهُمْ حتـى يُغِـرْنَ مُغَـارَهُمْ ... مـن الـضَّارِيَاتِ بالـدِّمَاءِ الـدَّوارِبِ

٩- لهـنَّ علـيهم عـادةٌ قـد عَرَفْنَهـا ... إذَا عُـرِّضَ الخَطِّـيُّ فَـوْقَ الكَوَاثِـبِ

١٠- علـى عارفـات للطعـانِ عَـوَابِسٍ ... بِهِـنَّ كلُـومٌ بـين دَامٍ وجَالِـبِ

١١- إذَا اسْـتُنْزِلُوا عَـنْهُنَّ لِلطِّعْـنِ أرقَلُـوا ... إلَى المـوْتِ إرْقَـالَ الجِمَـالِ المـصَاعِبِ

١٢- ولا عَيْـبَ فـيهم غَيْـرَ أنَّ سُـيوفَهم ... بِهِـنَّ فُلُـولٌ مـن قِـرَاعِ الكَتَائِـبِ

١٣- تُـوُرِّثْنَ مـن أزْمَـانِ يَـوْمِ حَليمَـةٍ ... إلى اليَـوْمِ قـد جُـرِّبْنَ كُـلَّ التَجَـارِبِ

١٤- تَقُـدُّ الـسَّلُوقِيَّ المُـضَاعَفَ نَـسْجُهُ ... وتُوقِـدُ بالـصُّفاحِ نـار الحُبَاحـبِ

١٥- لَهُـمْ شِـيْمَةٌ لم يُعْطهَـا الله غَيْـرَهُمْ ... من الجـودِ، والأحـلامُ غـيرُ عَـوَازِبِ

١٦- رِقَـاقُ النعَـالِ طَيِّـبٌ حُجُـزَاتُهم ... يُحَيّـونَ بالرَّيْحَـانِ يَـوْمَ الـسَّبَاسِبِ

١٧- يَـصُونُونَ أجْـسَاداً قَـدِيماً نَعيمُهَـا ... بِخالـصَةِ الأرْدَانِ خُـضْرِ المَنَاكِـبِ

١٨- ولا يحْـسَبُونَ الخَيْـرَ لا شـرَّ بَعْـدَهُ ... ولا يحْـسَبُونَ الـشَرَّ ضـرْبَةَ لازِبِ

١٩- حَبَوْتُ بِهَا غَـسَّانَ إذْ كنـتُ لاحِقـاً ... بِقَوْمـي وَإذْ أعْيَـتْ عَـليَّ مَـذَاهِبِي

مناسبة القصيدة:

كان النابغة الذبياني من شعراء المناذرة حكام الحيرة بل إنه من الشعراء المقدمين عند النعمان بن المنذر ملك الحيرة بدليل أن النعمان كافأه على بعض قصائده بمئة ناقة، فاخذ الشعراء الآخرون وغيرهم من جلساء الملك يحسدونه على مكانته ويسعون بالوشاية عند الملك، وفي هذه الأثناء حدثت حرب بين الغساسنة ملوك الشام وقبيلة ذبيان التي ينتسب لها الشاعر، وقد انهزمت ذبيان وقتل منها رجال وأسر آخرون وسبيت النساء فرأى النابغة أن مدح الغساسنة في تلك الظروف التي تحيط بقبيلته أمر مهم، فانتقل إليهم وأقام عندهم وقال فيهم قصائد منها قصيدته التي بين أيدينا.

شرح الأبيات:

(١) كليني: دعيني. أميمة: ابنته. ناصب: متعب. بطئ الكواكب: نجومه تسير سيراً بطيئاً.

المعنى: دعيني يا بنتي لهمومي المتعبة واتركيني اقاسي هذا الليل الطويل الذي لا تسير نجومه إلى المغيب وإنما هي تتثاقل في اتجاهها إلى مغاربها.

(٢) الذي يرعى النجوم: الصباح. آيب: راجع

المعنى: لقد زاد طول ليلي حتى ظننت أن ليس له نهاية وأبطأ الصباح في الظهور حتى ظننت أنه لن يرجع إلى عاداته في تبديد الظلام.

(٣) العازب: الذي يبيت بعيداً عن أهله.

المعنى: لقد رد هذا الليل على صدري الهموم التي نسيتها في النهار فتجمعت في صدري فتضاعف الحزن والألم والأسى بين ضلوعي؛ لأن الليل يجمع الهموم والنهار يفرقها.

(٤) ذات عقارب: ذات أذى.

المعنى: لقد منَّ عليَّ عمرو بخيرات كثيرة وأعطاني والده مثلها وهي خيرات لا يخالطها أذى ولا تتبعها منة.

(٥) أشائب: أخلاط.

المعنى: لقد تيقنت من انتصار الملك على أعدائه؛ لأن جيشه يشتمل على أبناء الغساسنة دون

غيرهم؛ فذلك الجيش لا يجمع أخلاطاً من القبائل وإنما هو مقتصر على غسان.

(٦) تلك الكتائب التي يتألف منها الجيش إنما هي مؤلفة من بني عم الملك الأقربين الذين هم آل جفنة ومن أبناء جده الأعلى المعروف بعمرو بن عامر.

(٧) عصائب: جمع عصابة وهي الجماعة.

المعنى: إذا سار جيش الغساسنة للغزو فإنه يطير فوقه مجموعات من الطيور الكاسرة فإذا رأتها الطيور الأخرى تبعتها فهي تنتظر القتلى من أعدائهم.

(٨) الضاريات: المتعودات، الدوارب: المدربة.

المعنى: إن تلك الطيور الجارحة تصاحب جيش الغساسنة، فإذا أغار الجيش على الأعداء ومزق أجسادهم فإن تلك الطيور تنقض على الأجساد المطروحة على الأرض.

(٩) الخطي: الرماح المنسوبة إلى بلدة الخط (القطيف) في شرقي المملكة العربية السعودية. الكواثب: جمع كاثبة وهي ملتقى الرقبة بالكتف.

المعنى: لقد اعتادت تلك الطيور على مرافقة ذلك الجيش، فعندما ترى الرماح قد عرضت على كواثب الخيول فإنها تعرف مقصد ذلك الجيش.

(١٠) عوابس: أصل العبوس تقطيب ما بين العينين. كلوم: جروح. الجالب: اليابس.

المعنى: إن ذلك الجيش قد أخذ عدته، ففرسانه يمتطون الخيول الصابرة المتعودة على الحرب، فالحرب ليست جديدة عليها بدليل أن الجروح جديدها وقديمها تتخلل أجسام تلك الخيول.

(١١) أرقلوا: عدوا وأسرعوا. المصاعب: جمع مصعب وهو الفحل الذي لم يذلل.

المعنى: إن أولئك الفرسان ينزلون عن خيولهم إذا اقتضى الأمر ذلك، فهم يسرعون إلى طعن أعدائهم كما تعدو الجمال المطلقة من القيود.

(١٢) فلول: ثلوم.

المعنى: إذا أردت أن أبحث عن عيب في الغساسنة فإنني لن أجده، فعيبهم الوحيد هو تثلم سيوفهم بسبب كثرة المعارك التي يخوضونها، وذلك ليس عيباً وإنما هو شرف لهم.

(١٣) حليمة: هي حليمة بنت الحارث بن أبي شمر الغساني.

المعنى: إن تلك السيوف مجربة منذ القديم فهي متوارثة من جيل إلى جيل، وقد حارب بها الأبطال الذين انتصروا على المناذرة في ذلك اليوم المعروف بيوم حليمة.

(١٤) تقد: تشق. السلوقي: الدرع المنسوب إلى سلوق قرية باليمن. الصفاح: الحجارة ويقصد بها خوذات الجنود. الحباحب: ذباب يطير في الليل فيشع منه النور.

المعنى: إن تلك السيوف تشق الدروع السلوقية المتقنة الصنع، وتري من يشهد المعركة النار تقدح والشرر يتطاير عندما تضرب خوذ الخصوم..

(١٥) شيمة: طبيعة وخلق. الأحلام: العقول. عوازب: غائبة..

المعنى: إن أخلاق الغساسنة فاضلة وعقولهم حاضرة عند الملمات والنوازل وهذه الصفات لا تتوافر في غيرهم من الناس.

(١٦) حجزاتهم: الحجزة معقد الإزار. الريحان: نبت طيب الرائحة. السباسب: عيد من أعيادهم.

المعنى: إن أولئك القوم ينتعلون النعال الرقيقة فهم لا يمشون كثيراً، وهم أصحاب عفة يصونون أنفسهم عن المحرمات، وفي يوم عيدهم يلاقون بالرياحين العطرة.

(١٧) الأردان: الأكمام. المناكب: جمع منكب وهو الكتف.

المعنى: والغساسنة يحفظون أجسامهم بما يلبسون من الثياب الفاخرة، تلك الثياب التي تتصف ببياض الأكمام واخضرار الكتفين.

(١٨) اللازب: اللازم.

المعنى: عندما يصيب الغساسنة خيراً فإنهم لا يغترون، وعندما يصيبهم شر فإنهم لا يجزعون منه فهم ينتظرون زواله.

(١٩) حبوت: أعطيت وأهديت. أعيت عليَّ مذاهبي: ضاقت وسدت.

المعنى: إنني أقدم هذه القصيدة هدية للغساسنة؛ لأنني أراهم أحق الناس بمدحي في هذه الظروف التي أجبرتني على اللحاق بقومي حين انسدت عليَّ الطرق.

مناقشـــــــة

١- كان لموت والد امرئ القيس أثر في حياته وفي شعره، وضح هذا الأثر.

٢- ما الأغراض التي تناولها امرؤ القيس في شعره؟

٣- قيل "أشعر الناس امرؤ القيس إِذا ركب، والنابغة إِذا رهب". اشـــرح هـــذا القول.

٤- الاعتذار غرض برز فيه النابغة الذبياني. فمِنْ مَنْ كان يعتذر؟ وما سبب ذلك الاعتذار؟.

زهير بن أبي سُلمى

حياتـــــه:

ولد زهير ونشا في (الحاجر[1]) حيث تقيم أسرته بجوار بني مرة من ذبيان، وأسرته من مزينة وليست من غطفان، فوالده أبو سُلْمَى هو ربيعة بن رياح بن قرة بن الحارث من مزينـــة، ثم مـــن مضر، وقد توفي ربيعة والد زهير فكفل زهيراً خاله بشامة بن الغدير، وكان ثرياً فنشأ زهير في بيت ثراء وغنى، وعندما توفي خاله ترك مالاً كثيراً فكان لزهير نصيب من ذلك المال.

وقد أقام زهير في بلاد الحاجر و لم يبرحها إلى غيرها، فلم يفد على الملوك كما كان يـــصنع النابغة أو الأعشى، ومع ذلك فإنه عاش عيشة تتسم بالرخاء، وكان له صلة بسيدي بني مرة وهما هرم بن سنان والحارث بن عوف فكان يمدحهما فيعطيانه، وقد جمع مالاً وفيراً، وله صلة بحـــصن بن حذيفة الفزاري. وهذه العلاقات مع زعماء ذبيان جعلت لزهير مكانة مرموقة في البلاد الـــتي عاش فيها، وقد توفي زهير سنة ١٣ ق هـــ.

شعـره:

أخذ زهير بن أبي سلمى الشعر عن خاله بشامة بن الغدير وعن أوس بن حجـــر زوج أمـــه وطفيل الغنوي، ولذلك فقد اجتمع في شعره الطبع والصنعة؛ أما الطبع فيدل عليه وجود شعراء في أسرة الشاعر، فوالده ربيعة شاعر وخاله بشامة بن الغدير شاعر وأخته الخنساء شاعرة[2] وأختـــه سلمى شاعرة وابنه كعب شاعر وابنه بجير شاعر، وأما الصنعة فإنه عَلِمَ كيف يصنع الشعر، وقـــد استفاد من ذلك فجاء شعره جامعاً بين الصنعة والطبع. وقد عُدَّ زهير من عبيد العشر فهو يـــصنع القصيدة ثم يبقيها عنده سنة يبدئ ويعيد فيها حتى تكتمل فيذيعها في الناس بعد ذلـــك؛ ولـــذلك عرفت قصائده بالحوليات، والمنقحات والمحكمات، وقد قال عمر بن الخطاب في زهير: "زهـــير لا

---

(١) الحاجر يقع بالقرب من عقلة الصقور من الناحية الشمالية الغربية.

(٢) الخنساء أخت زهير ليست هي الخنساء الشاعرة المشهورة أخت صخر.

يتبع حوشي[1] الكلام ولا يعاظل في المنطق ولا يقول إلا ما يعرف ولا يمدح الرجل إلا بما فيه".

وقد قال زهير الشعر في أغراض كثيرة منها: المدح والغزل والوصف والحكمة.

المـــــــدح:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زهير: "كان لا يمدح الرجل إلا بما فيه" ومعنى ذلك أن مدح زهير بعيد عن الإسراف والمبالغة، فقد مدح رجلين حَقَنَا الدماء وتحملا أموالاً كثيرة، قيل إنها ثلاثة آلاف بعير، والرجلان هما هرم ابن سنان المُرِّي الذبياني والحارث بن عوف المري الذبياني، وفي الواقع أن هذين الرجلين يستحقان المدح فإذا عرفنا أن حرب داحس والغبراء قد شردت بني عبس فانتقلوا من بلادهم وأخذوا يجاورون القبائل الأخرى وأنهكت تلك الحرب ذبيان فقتل فيها حذيفة بن بدر وأخوه حَمَل، وإذا علمنا ذلك تبين لنا أن من سعى في إيقاف تلك الحرب يستحق المدح، ومما قال زهير فيهما:

سعى ساعيا غَيْظِ بنِ مُرَّةَ بعد ما ... تَبَزَّلَ ما بين العشيرةِ بالدَّم[2]

فأقسمت بالبيت الذي طاف حولَه ... رجالٌ بَنَوْهُ من قريشٍ وجُرْهُمِ

يميناً لنعم السيدان وُجدِّتما ... على كُلِّ حالٍ من سَحِيلٍ ومُبْرِمِ[3]

تداركتما عبساً وذبيانَ بعد ما ... تفانوا ودَقُّوا بينهم عِطْرَ مَنْشِمِ[4]

وقد قلتما إن نُدرِكِ السلمَ واسعاً ... بمالٍ ومعروفٍ من الأمر نَسْلَمِ

فأصبحتما منها على خير مَوْطِنٍ ... بَعِيْدَيْنِ فيها من عُقوقٍ ومأثمِ

عظيمين في علْيَا مَعَدٍّ هُديتُمَا ... ومن يستبحْ كنزاً من المجدِ يعظُمِ

---

(١) حوشي الكلام: غريبه. يعاظل: يدخل بعضه في بعض فلا يعرف. قول عمر رضي الله عنه في الشعر والشعراء ١/١٣٧.

(٢) الساعيان هما هرم بن سنان والحارث بن عوف وهما من ولد غيظ بن مرة. تبزل: تشقق.

(٣) السحيل: الذي لم يحكم فتله، والمبرم الذي أحكم فتله.

(٤) منشم: عطار يبيع الكافور للموتى فإذا خرج المتحاربون اشتروا منه كافوراً لموتاهم

الحكمـــــة:

زهير بن أبي سلمى هو حكيم الشعراء فإذا قرأنا معلقته وجدنا آخرها حكماً متتالية، وهـــذا يدل على قدرته البارعة في استخلاص الحكمة من تجارب العرب وتراثهم. ومن الحكم الواردة في المعلقة قوله:

وأعلـم مـا في اليَـوْمِ والأمْـسِ قَبْلَـهُ ولكـنني عـن علـم مـا في غَـدٍ عَـم

وقوله:

ومـن هـاب أسـبابَ المنايَـا يَنَلْنَـهُ ولـو رَامَ أسـباب الـسماء بِـسُلَّمِ

وقوله:

لـسانُ الفتـى نـصفٌ ونِـصْفٌ فُـؤادُهُ فلـم يَبْـقَ إلا صـورةُ اللَّحْـمِ والـدَّمِ

ولزهير حكم في غير المعلقة من ذلك قوله:

تَـزَوَّدْ إلى يـوم المَمَـاتِ فإنَّـهُ ولـو كَرِهَتْـهُ الـنَفْسُ آخِـرُ مَوْعِـدِ

وقوله:

فـإنَّ الحَـقَّ مَقْطَعُـهُ ثَـلاثٌ يمـينٌ أو نِفَـارٌ أو جِـلاءُ[1]

وشعر زهير يعطينا صورة واضحة لما وصل إليه الشعر الجاهلي من الإتقان والجودة، فأسلوبه محكم النسج، ومعانيه مستخلصه من ثمار تجارب العرب، فهو بحق خاتمة مشرفة للشعر الجاهلي.

(١) النفار: المنافرة إلى شيوخ القبائل للحكم. الجلاء: انكشاف الأمر. والبيت في ديوان زهير ص ٦٦.

أبيات من معلقة زهير بن أبي سلمى في الحكمة

١- سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يَعِشْ ثمانينَ حولاً لا أَبالَكَ يَسْأَمِ
٢- وأعلمُ ما في اليومِ والأمس قَبْلَهُ ولكنني عن علم ما في غدٍ عَمِ
٣- رأيت سِفَاه الشيْخِ لا حلمَ بعده وإنَّ الفتى بعد السفاهةِ يَحْلُمِ
٤- ومن لا يصانِعْ في أمورٍ كثيرة يُضَرَّسْ بأنيابٍ ويُوطأْ بِمَنْسِمِ
٥- ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضلِهِ على قومه يُسْتَغْنَ عنه ويُذْمَمِ
٦- ومن لا يَذُدْ عن حوضه بسلاحه يُهَدَّمْ ومن لا يظلِم الناسَ يُظْلَمِ
٧- ومن هاب أسبابَ المنايا يَنَلْنَهُ ولو رامَ أسبابَ السماءِ بِسُلَّمِ
٨- ومن يَعْصِ أطراف الزِّجَاجِ فَإِنَّهُ يطيعُ العوالي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْدَمِ
٩- ومن يُوفِ لا يُذْمَمْ ومن يُفْضِ قَلْبُهُ إلى مُطْمَئِنِّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَمِ
١٠- ومن يَجْعَلِ المعرُوفَ من دونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ ومن لا يَتقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ
١١- ومن يجعل المعروفَ في غير أهْلِهِ يَعُدْ حمدُهُ ذمّاً عليه ويَنْدَمِ
١٢- ومن يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عدوّاً صديقَهُ ومن لم يُكَرِّم نَفْسَهُ لم يُكَرَّمِ
١٣- ومن لا يَزَلْ يَسْتَرْحِلِ النَاسَ نَفْسَهُ ولا يُعْفِهَا يوماً من الذُّلِّ يَسْأَمِ
١٤- ومهما تَكُنْ عند امرئٍ من خَلِيقَةٍ وإن خالها تخفى على الناس تُعْلَمِ

المناسبة:

كان زهير بن أبي سلمى المزني نازلاً في بني مرة من ذبيان، وقد نشبت حرب ضروس بين ذبيان وعبس عرفت بحرب داحس والغبراء اصطلى زهير بنارها هو وغيره من بني ذبيان وقد استمرت تلك الحرب عشرات من السنين، وقد مالت عبس في نهاية تلك الحرب إلى السلم ووافق ذلك رغبة من بني مرة الذبيانيين، فسعى رجلان فاضلان في الصلح بين عبس وذبيان، والرجلان

هما هرم بن سنان والحارث بن عوف، فجمعا الديات التي بلغت ثلاثة آلاف بعير، فأعجب زهير بهذين الرجلين ومدحهما بقصيدة طويلة هي معلقته، وقد ختمها بهذه الحكم التي أوردناها والتي يحث معظمها على الصلح.

شرح الأبيات:

(١) سئمت: مللت. تكاليف: جمع تكلفة وهي المشقة.

لقد مللت مشقة الحياة وتعبها، ومن عاش مثلي ثمانين سنة لابد أنه سيسأم البقاء في هذه الدنيا.

(٢) إن علمي مربوط بما رأيته في الماضي وما أراه في وقتي الحاضر، وأما المستقبل فإنه محجوب عني فكأني بالنسبة له الأعمى الذي لا يبصر ما أمامه.

(٣) عندما يصاحب السفه شاباً فإنه يمكن تقويمه، وأما الشيخ عندما يصاحبه السفه فمن الصعب تقويمه وتعديله.

(٤) يضرس: يعضض. المنسم: طرف خف البعير.

لابد من مداراة الناس في كثير من الأمور، ومن لم يفعل ذلك فسوف يصله الأذى والشر وربما ناله البطش.

(٥) من أعطاه الله الغنى والمال فبخل به و لم ينفقه في وجوهه بل حفظه و لم يعط القريب فإن ذلك القريب سيستغني، وسيصل الذم ذلك المانع لماله.

(٦) من تجرأ الناس على حقوقه فنالوا منها، و لم يستطع منعهم فإنهم سيستبيحون ما بقي منها لأن الناس لا تردعهم إلا القوة وقوله " ومن لا يظلم الناس يظلم" نظرة جاهلية.

(٧) أسباب: نواحي.

إن من خاف من الموت لن ينفعه ذلك، ولو حاول الهروب إلى السماء، لأن الموت سيلاقيه لا محالة.

(٨) الزجاج: جمع زُجّ وهو أسفل الرمح العوالي: جمع عالية وهي أعلى الرمح التي يكون فيها السنان. اللهذم: الحاد.

إن من عارض الصلح سيصطلي بنار الحرب، وسوف تناله السنان الحادة التي تمزق جسده

(٩) يفض: يصبر ويطمئن. لا يتجمجم: لا يتردد في الصلح.

إن من أوفى بما وعد به لن يصل إليه الذم ومن اطمأن قلبه إلى طريق البر والخير فإنه لن يتردد في تنفيذ الصلح ونبذ الحرب.

(١٠) يفره: لا ينقصه.

إن من أراد أن يكون عرضه مصوناً فعليه ببذل المعروف، أما من يعرض نفسه للسباب فإن الذم سيصله.

(١١) والباذل للمعروف يجب عليه أن يضعه في من يستحقه لأن بذل المعروف في غير أهله لا يعقبه إلا الذم وندامة باذله.

(١٢) إن الغريب قد يغتر بالناس فيظن أعداءه أصدقاء له، وإن من أذل نفسه فقد أتاح لغيره أن يذله ويستصغر شأنه.

(١٣) إن من جعل نفسه عالة على الناس لا يتعفف ولا يترفع وإنما يرمي بنفسه في مواضع الإهانة، ومن كانت هذه صفته فإن الناس سيملونه.

(١٤) خليقة: طبيعة.

إن طبيعة الإنسان وسجيته التي جبل عليها لابد أن تظهر للناس مهما حاول صاحبها إخفاءها.

مناقشـــــــة

١- اشتهر زهير بن أبي سلمى بالحوليات. فما المقصود بهذه التسمية؟

٢- من أشهر ممدوحي زهير وما مناسبة مدحه لهم؟

٣- "زهير حكيم الشعراء". اشرح هذا القول.

النـثر الجاهـلي

النثر هو كلام اختيرت ألفاظه، وانتقيت تراكيبه، وأحسنت صياغة عباراته، بحيث يـؤثر في المستمع عن طريق جودة صنعته. فهو يختلف عن الكلام العادي الذي يتكلم به الناس في شـؤونهم العادية.

وأنواع النثر الجاهلي هي: الخطابة والأمثال والحكم والقصص وسجع الكهان. والخطابة من أبرز أنواع النثـر في العصر الجاهلي، وتتلوها من ناحية الأهمية: الأمثال؛ لانتشارها بـين عامـة الناس وخاصتهم ولهذا سيكون الحديث التالي عن هذين النوعين من النثر.

الخطابة

الخطابة كلام جيد المعاني متين الأسلوب مؤثر في من يستمع إليه، يخاطب به جمهـور مـن الناس، بهدف استمالته إلى رأي معين، أو إقناعه بفكرة، أو إرشاده إلى طريق يسير فيه، أو منعه من الانحراف في ضلالة. والخطبة شائعة بين الناس في العصر الجاهلي؛ لأنهم يحتاجون إليها في حيـاتهم العامة وأكثر ما تقال في أماكن اجتماعاتهم مثل الأسواق أو اجتماعهم لحرب.

دواعيهـا:

دواعي الخطابة في العصر الجاهلي كثيرة ومتنوعة، ومنها:

١- حث المقاتلين على القتال في الحرب. كما فعل هانئ بن مسعود الشيباني في يوم ذي قار.

٢- تهنئة الملوك. كما فعل عبد المطلب بن هاشم في تهنئة سيف بن ذي يـزن عنـدما طـرد الأحباش من اليمن.

٣- التفاخر بين أحياء العرب.

٤- الدعوة إلى السلم عندما تمل الحرب.

٥- التعزية والنصح والإرشاد.

أسلوبهـــا:

أسلوب الخطبة في الجاهلية يغلب عليه السجع، فالخطبة تتكون من جمل قـــصيرة مـــسجوعة متوازنة وهذا ما نجده في خطبة قس بن ساعدة الإِيادي في سوق عكاظ وفي خطبة عبد المطلب بن هاشم أمام سيف ابن ذي يزن، وفي خطبة هانىء بن مسعود الشيباني في يوم ذي قار. وقد تنـــهج الخطبة أسلوباً مرسلاً لا يقيده السجع ولا التوازن ولا الجمل القصيرة.

صفات الخطيب:

لا يتصدى للخطابة إِلا من ملك زمام الفصاحة وكان ثابت الجنان، حاضر البديهة، ويمـــدح الخطيب بجهارة الصوت، ووضوح الكلام، وعدم التلفت، ويعاب بالتنحنح والارتعاش، والحـــصر والعِي[1] والتعثر في الكلام، وكثرة مسه للحيته وشاربه. ومن عادة الخطيب أن يخطب واقفـــاً أو يخطب وهو على راحلته، وإذا خطب واقفاً اختار مرتفعاً من الأرض واتكأ على عصا، ومن عادة الخطيب أن يضع العمامة على رأسه.

والخطيب له مكانة ومنـــزلة أعلى من منـــزلة الشاعر، ذلك أن الشاعر قد يتكسب بشعره كما يفعل النابغة والمتلمس وطرفة والأعشى، وأما الخطيب لا يكتسب بخطبته كما يفعل الشاعر.

ومن خطباء الجاهلية هاشم بن عبد مناف، وابنه عبد المطلب، وزهير ابن جناب، وقيس بـــن خارجة بن سنان، وأكثم بن صيفي، وقس بن ساعدة، وهانئ بن مسعود الشيبانى، وحاجب بـــن زرارة، والحارث بن عبّاد البكري.

---

(١) الحصر والعي: عدم القدرة على الكلام أو التوقف عنه وعدم الإِبانة فيه.

نماذج من الخطابة

١- خطبة عبد المطلب بن هاشم أمام سيف بن ذي يزن بمناسبة طرد الأحباش من اليمن:

" إن الله تعالى أيها الملك أَحَلَّكَ مَحَلاً رفيعاً، صعباً منيعاً، باذخاً شامخاً[١]. وأنبتك منبتاً طابت أَرُوَمَتُه وعزت جُرْثُومَتُه[٢]، وَنُبلَ أصله وبَسقَ فرعه[٣]، في أكرم معدن[٤]، وأطيب موطن، فأنت – أبيت اللعن[٥] – رأس العرب وربيعها الذي به تخصب، وملكها الذي به تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد، سلفك خير سلف، وأنت لنا بعدهم خير خلف، ولن يهلك من أنت خلفه، ولن يخمل من أنت سلفه، نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته، وسدنة[٦] بيته، أشخصنا إليك الذي أهجك لكشف الكرب الذي فدحنا[٧]، فنحن وفد التهنئة لا وفود المرْزِئة[٨].

٢- خطبة قس بن ساعدة الإيادي[٩] في سوق عكاظ:

"أيها الناس اسمعوا وعوا: من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت ليل داج[١٠]، ونهار ساج[١١]، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض

---

(١) باذخ وشامخ: عال.

(٢) الأرومة والجرثومة: الأصل.

(٣) بسق: طال وعلا.

(٤) المعدن: المكان الطيب.

(٥) أبيت اللعن: أبيت أن تأتي ما يستدعي لعنك فأنت شريف.

(٦) سدنة بيته: خدام بيته.

(٧) فدحنا: الفادحة: النازلة، وفدحنا: كان ثقيلاً علينا.

(٨) المرزئة: المصيبة وقد تكون المصيبة في المال. والخطبة في العقد الفريد ٢/٢٤.

(٩) هو قس بن ساعدة بن عمرو من بني إياد من حكماء العرب وخطبائهم، توفي سنة ٢٣ ق هـ.

(١٠) داج: مظلم.

(١١) ساج: ساكن دائم.

مُدْحاة، وأنهار مجراة. إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لعِبَراً، ما بال الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالمُقَام فأقاموا، أم تركوا فناموا؟ يقسم قس بالله قسماً لا إثم فيه: إن لله ديناً هو أرضى له وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه، إنكم لتأتون من الأمر منكراً. ثم أنشأ يقول:

في الـــذَّاهِبِينَ الأولـــيـــنَ مـــن القـــرون لنـــا بـــصائرْ
لَّمـــا رأيـــتُ مَـــوَارِداً للمـــوت لـــيس لهـــا مـــصَادِرْ
ورأيـــت قـــومي نحوَهَـــا يمـــضي الأكَـــابِرُ والأصَـــاغِرْ
لا يرجـــعُ الماضِـــي إلـــيَّ ولا مـــن البـــاقينَ غَـــابِرْ[1]
أيقنـــتُ أنـــي لا محالـــةَ حيـــثُ صـــارَ القـــومُ صَـــائِرْ

٣- خطبة أكثم بن صيفي[2] أمام كسرى:

" إن أفضل الأشياء أعاليها، وأعلى الرجال ملوكها، وأفضل الملوك أعمها نفعاً، وخير الأزمنة أخصبها، وأفضل الخطباء أصدقها. الصدق مَنْجاة، والكذب مَهْواة، والشر لَجَاجَة[3]، والحزم مركب صعب، والعجز مركب وطيء[4]. آفة الرأي الهوى، والعجز مفتاح الفقر، وخير الأمور الصبر. إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعي، من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء. شر البلاد بلاد لا أمير بها، وشر الملوك من خافه البريء، أفضل الأولاد البررة، وخير الأعوان من لم يراء بالنصيحة، أحق الجنود بالنصر من حسنت سريرته، يكفيك من الزاد ما بلغك المحل، حسبك من شر سماعه، الصمت حُكْم[5] وقليل فاعله، البلاغة الإيجاز، من شدد نفَّر ومن تراخى تألف.

---

(١) الغابر: الباقي.

(٢) هو أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث التميمي عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام ورحل قاصداً الرسول صلى الله عليه وسلم وتوفي في الطريق سنة ٩ هـ يعتبر من المعمرين.

(٣) اللجاجة: تمادي الخصمين في الكلام.

(٤) وطيء: لين سهل.

(٥) الحكم: الحكمة.

الأمثـــال

الأمثال أقوال سائرة بين الناس تُشَبَّهُ فيها أحوال منظورة مشاهدة بأحوال سابقة لها، والـــذي يجمع بين الحال الســـالفة والحال القائمـــة هو المماثلة بينهما أي المشابهة.

ويهدف المثل إلى التعليم أو التنبيه أو التذكير، فالصغير والجاهل يـــتعلم بواســـطة الأمثـــال، والكبير ينتبه إذا سمع المثل فيسترشد به، والغافل يتذكر ما مضى من حوادث التاريخ، والذي يسهل التعليم بواسطة الأمثال أن الأمثال تُحْفَظ بسهولة.

والأمثال تصور تجارب العرب في حياتهم الاجتماعية والسياسية والعقلية، فهي حصيلة تاريخ طويل بجميع فروعه وتشعباته. كما أنها تصور البيئة الجاهلية لأنها تُنقل بلفـــظ لا يتغير، ولـــذلك فهي لون أدبي يتميز بالبقاء على صـــورته التي قيل فيها.

وتعد الأمثال مرآة لحياة الأمة بجميع طبقاتها، فهي لا تمثل عقلية طبقة معينـــة، وإنمـــا تمثـــل عقليات الأمة جميعها لأنها تصدر من أي إنسان، بخلاف الحكمة فإنها لا تصدر إلا عن مفكـــر أو حكيم، وتكون وليدة التفكر وثمرة التجربة، وتهدف إلى النصح والإرشاد والحث علـــى التحلـــي بمكارم الأخلاق.

ويغلب على الأمثال التوازن والسجع وإصابة المعنى وحسن التشبيه، وهي تكـــون في النثـــر وتكون في الشعر ولكنها في النثر أكثر.

والأمثال مبثوثة في كتب الأدب ودواوين الشعراء وكتب التاريخ؛ فإذا قرأنا في كتاب البيان والتبيين للجاحظ وجدناه يشتمل على كثير من الأمثال، وكذلك كتاب الكامل للمبرد، والعقـــد الفريد لابن عبد ربه، وكتاب الأمالي لأبي علي القالي، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني.

ومن أشهر كتب الأمثال المطبوعة والمتداولة: (جمهرة الأمثال) لأبي هلال العسكري، و(مجمع

الأمثال) للميداني، وهو يشتمل على اثني عشر ألف مثل منها أمثال قيلت في العصر الجاهلي وأمثال قيلت في العصر الإسلامي.

ومن أمثال العرب في الجاهلية:

١- اسْتَنْوَقَ الجملُ.

(يضرب مثلاً للرجل الواهن الرأي المخلط في كلامه).

٢- أنْ تردَ الماءَ بماءٍ أَكْيَسْ.

(يضرب مثلاً للأخذ بالثقة والاحتياط).

٣- أيُّ الرجالِ المهذب!.

(يضرب مثلاً للرجل يعرف بالإِصابة في الأمور ثم تكون منه السقطة).

٤- لا يطاع لقصيرٍ أمر.

(يضرب مثلاً للرجل الخامل يقول الرأي الحكيم ولا يقبل منه).

٥- تسمع بالمعيدي لا أن تراه.

(يضرب مثلاً لمن يكون أمره مشهوراً ولكن هيئته لا تدل على ذلك).

٦- تحت الرّغوة الصريحُ[1].

(يضرب مثلاً للأمر تظهر حقيقته بعد خفائها).

٧- خَلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفري.

(يضرب لمن يُخلَّى بينه وبين حاجته).

٨- رُبَّ أخٍ لك لم تَلِدْهُ أمُّك.

(يضرب مثلاً لإِعانة الرجل صاحبه وانخراطه في سلكه حتى كأنه أخوه لأبيه وأمه).

---

(١) الصريح: اللبـــن الصافي الخالص من الشوائب.

٩- الصيفَ ضيَّعتِ اللبن.

(يضرب مثلاً لمن يضيع الأمر ثم يريد استدراكه بعد فوات الأوان).

١٠- القولُ ما قالتْ حذامِ.

(يضرب مثلاً في تصديق الرجل صاحبه، وصواب رأيه).

١١- ويلٌ للشَّجيُّ من الخَليِّ[١].

(يضرب لسوء مشاركة الرجل لصاحبه).

١٢- ما كلُّ سوداءَ تمرة ولا كل بيضّاء شحمة.

(يضرب في موضع التهمة وعدم وضوح الأمر).

ومن الأمثال ما ينسب لأشخاص مثل: أسخى من حاتم، أشجع من ربيعة بن مكدم، أدهى من قيس بن زهير، أعز من كليب وائل، مواعيد عرقوب، صحيفة المتلمس.

(١) الشجيَ: المشغول أو الحزين المهموم. والخليَ: الفارغ.

مناقشـــــــة

١- عرف الخطابة، واذكر دواعيها في العصر الجاهلي.

٢- اذكر أشهر خطباء العرب في الجاهلية.

٣- ما الصفات التي ينبغي أن تتوافر في الخطيب؟

٤- ما أهم خصائص الخطبة في العصر الجاهلي؟

٥- عرف الأمثال، وإِلام تهدف؟

٦- اذكر ستة من أمثال العرب، مع ذكر مَنْ تضرب له.

الفصل الدراسي
الثـــاني

توزيع المنهج للفصل الدراسي الثاني

الأسبوع وتاريخه	الموضوعات	ملحوظات
الأول من / / ١٤٣هـ	الأدب في عصر صدر الإسلام، أثر الإسلام في اللغة والأدب، أثر القرآن في اللغة والأدب، أثر الحديث في اللغة والأدب	واجب منزلي
الثانى من / / ١٤٣هـ	الشعر في عصر صدر الإسلام، موقف الإسلام منه، أغراضه.	
الثالث من / / ١٤٣هـ	خصائص الأدب في عصر صدر الإسلام. قراءة قصيدة النابغة الجعدى (خليلي..) وتوضيحها.(حفظ ستة أبيات منها)	
الرابع من / / ١٤٣هـ	حسان بن ثابت (حياته وشعره وأغراض شعره) قراءة قصيدة حسان فى رثاء الرسول ﷺ (بطيبة رسم للرسول) وتوضيحها (حفظ سبعة أبيات منها)	
الخامس من / / ١٤٣هـ	كعب بن زهير (حياته وشعره وأغراض شعره). قراءة قصيدة كعب بن زهير فى مدح الأنصار وتوضيحها. (حفظ ستة أبيات منها)	واجب منزلي
السادس من / / ١٤٣هـ	النثر في صدر عصر الإسلام ٠الخطابة والرسالة). قراءة خطبة الرسول ﷺ فى الخيف. (حفظ الخطبة)	
السابع من / / ١٤٣هـ	الأدب في العصر الأموي، الشعر وأغراضه (السياسي، المدح، الهجاء، النقائض)	
الثامن من / / ١٤٣هـ	**اختبار منتصف الفصل الدراسي الثاني.**	واجب منزلي
التاسع من / / ١٤٣هـ	شعر الفتوح والدعوة الإسلامية، خصائص الشعر الأموي.	
العاشر من / / ١٤٣هـ	جرير (حياته وشعره وأغراض شعره). قراءة قصيدة جرير فى مدح عبد الملك (أتصحو أم فؤادك). (حفظ خمسة أبيات منها)	
الحادي عشر من / / ١٤٣هـ	الفرزدق (حياته وشعره وأغراض شعره). قراءة قصيدة الفرزدق فى وصف الذئب (وأطلس عسال). (حفظ خمسة أبيات منها).	
الثانى عشر من / / ١٤٣هـ	النثر في العصر الأموي (الخطابة، الرسائل).	واجب منزلي
الثالث عشر من / / ١٤٣هـ	دراسة أدبية لرسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب (حفظ الرسالة)	
الرابع عشر من / / ١٤٣هـ	مراجعة ما حفظ من الشعر والنثر	
الخامس عشر من / / ١٤٣هـ	**مراجعة عامة**	

الأدب في عصر صدر الإسلام

أثر الإسلام في اللغة والأدب:

كانت حياة العرب في الجاهلية تقوم على الجهل الذي هو التطاول والبغي والإشراك بالله وعبادة الأصنام وإتيان الفواحش.. إلى غير ذلك من مظاهر الجاهلية.

فجاء الإسلام وغيَّر هذه الحياة الجاهلية وأخرج العرب من الظلمات إلى النور، وأثر في حياتهم تأثيراً كبيراً، ورسم لهم طريقاً جديداً، ونبذ طريقهم القديم.

والأدب بشعره ونثره مظهر من مظاهر الحياة المختلفة، أثر فيه الإسلام كما أثر في غيره من نواحي الحياة، واللغة هي المعبرة عن الأدب فلا يمكن أن نتصور أدباً من دون لغة، وبناء على ذلك فإن اللغة تأثرت بالإسلام تأثراً ملموساً في طرق التعبير المختلفة سواء كان ذلك في المفردات أو في التراكيب أو في البناء العام.

وقد رقق الإسلام ألفاظ اللغة وأبعدها عن الجفاء والغلظة، كما حول أساليبها إلى العذوبة والسلاسة. وقد أسهم المسلمون من غير العرب في رقي أدب اللغة العربية فبرز شعراء وخطباء وكتاب أسهموا بنصيب كبير في توسع الأدب وتعدد أغراضه.

وبما أن الإسلام جاء بفكر جديد يحتاج إلى شرح وتوضيح فقد برزت الخطابة بأساليبها الجديدة، كما توسع كتاب الرسائل في التفنن في أساليبهم، وبرزت المناظرات بفنونها الأدبية والبلاغية، فأثر الإسلام في اللغة والأدب ظاهر وجلي.

أثر القرآن في اللغة والأدب

جمع القرآن العرب على لغة قريش فتخلوا عن لهجاتهم، كما غير عقلية العربي ونمط تفكيره، ورقق عاطفته وأسلوبه فأصبح يختار من الكلمات أَلْيَنها ومن الأساليب أسهلها، وأخذ يبتعد عن الكلمات الجافية الغليظة.

وقد شاعت الكلمات الإِسلامية في اللغة مثل: الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج، القيام، الركوع، السجود، الوضوء، المؤمن، الكافر، الإِيمان، الفرقان، الإشراك، النفاق.

وقد اهتم المسلمون بعلوم العربية ليحفظوا القرآن من اللحن، ومن تلك العلوم: النحو والصرف واللغة، وذلك الاهتمام بتلك العلوم إِنما هو بتأثير القرآن. كما عني المسلمون بعلوم البلاغة من بيان ومعان وبديع ليبينوا إِعجاز القرآن، ولاشك أن ذلك الاهتمام أَثْرَى اللغة العربية وطور أساليبها.

وقد حفظ القرآن الكريم اللغة العربية فبقيت لغة حية على مر العصور بالإِضافة إِلى أنه هو الذي أتاح لها أن تنتشر في أنحاء المعمورة، فالمسلمون يحفظون القرآن ويتلونه في صلواتهم على مدار اليوم والليلة وإِن كانوا من غير العرب.

وقد تأثر الأدباء بأسلوب القرآن الكريم واقتفوا أثره حتى أصبحت أساليبهم تقتبس منه، فمنها ما تأثر به كثيراً ومنها ما هو دون ذلك. وأما معاني الأدباء فقد وسعها القرآن لأنهم يأخذون من معان لا تنفد، فلو تتبعنا الشعر والخطب والرسائل لوجدنا أن معانيها لا تبعد عما اشتمل عليه القرآن، وقد اعتمد الخطيب والكاتب على القرآن الكريم في الاستشهاد على كلامه وبذلك أصبحت الآيات القرآنية مصدراً مهماً لدعم الخطبة أو الرسالة، وكلما كان ذلك الاستشهاد مناسباً كان ذلك الكلام أكثر تأثيراً في النفس.

أثر الحديث في اللغة والأدب

أسهم الحديث بجانب القرآن الكريم في نشر اللغة العربية وتعلميها للمسلمين من غير العرب لأنهم أصبحوا يحفظون الأحاديث. ثم نشأت الدراسات المعتمدة على الحديث، من شرح له وتوضيح غريبه والبحث في رجال سنده، وتلك الدراسات وسعت دائرة اللغة في الاشتقاق وشرح الغريب بلفظ مرادف وتوضيح المعاني بتفتيقها إلى معان جزئية ليسهل فهمها.

وقد شاعت ألفاظ وتعبيرات في اللغة العربية بعد أن تناقل الناس أحاديث الرسول ﷺ منها: "هُدْنَةٌ على دَخَن وجماعة على أقذاء"[1]. "الآن حمي الوطيس"[2]. "لا يلسع المؤمن من جحر مرتين". وإذا كانت الألفاظ التي يستعملها الأديب المسلم في أدبه هي من خيار ما يحفظ من النصوص فإن ألفاظ الأحاديث الشريفة وتراكيبه وتعبيراته برزت في الأدب الإسلامي لأنها من محفوظات الأدباء سواء كانوا خطباء أو شعراء أو كتاباً، فقد رقَّتْ ألفاظهم وعَذُبَتْ أساليبهم.

والأدب إنما هو ألفاظ مختارة، وتراكيب متقنة، وأساليب مجودة، ومعان مؤثرة، فإذا بحث الأديب عما يعينه في صنع أدبه فلا شك أن الحديث الشريف يعد مصدره الثاني بعد القرآن الكريم، فالشعراء وسعوا معارفهم عن طريق حفظ الحديث وروايته والاستفادة من ألفاظه وتعبيراته ومعانيه، فهو مصدر إلهام لهم يستمدون منه معانيهم ويعتمدون عليه في ثقافتهم الإسلامية، والخطباء استفادوا من معاني الحديث وأساليبه فاستقامت ألسنتهم وقويت حججهم. والكاتب يستمد كثيراً من موضوعاته من الحديث، فهو يدعم رسالته بمعانيه وبعباراته أحياناً. وبناء على ما تقدم يظهر لنا أن أثر الحديث في اللغة والأدب ملحوظ في لغة الأديب، وفي أسلوبه ومعانيه.

---

(١) دخن: حقد. والأقذاء: جمع قذى ويقصد به الضرر الذي يصبر عليه صاحبه حتى يستطيع أخذ حقه من خصمه.

(٢) الوطيس: التنور، ويراد به اشتداد الحرب.

الشعر في عصر صدر الإسلام

موقف الإسلام من الشعر:

عندما بعث الرسول ﷺ كان في مكة عدد من الشعراء، وبعد هجرته ﷺ إلى المدينة تطاول شعراء المشركين على الرسول والمسلمين فاضطر شعراء الأنصار إلى الدفاع عن الإسلام مثل حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه، وقد دفعت هذه الخصومة شعراء مكة إلى الإكثار من الشعر. ومن شعراء مكة عبد الله بن الزبعري، وضرار بن الخطاب، وأبو سفيان بن الحارث.

أما الشعراء الذين دخلوا في الإسلام من غير شعراء مكة والمدينة فقد قل شعرهم أو توقف، ومن هؤلاء لبيد بن ربيعة العامري، وكعب بن زهير، وذلك يعود إلى ورع الشعراء وعدم إطلاق العنان لألسنتهم، فالإسلام نفَّر من الشعر السِّيء ولكنه لم يحرم الشعر فقد ورد في القرآن الكريم: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ ﴾[2].

وقد ورد في الحديث: " لأن يمتلىء جوفُ أحدِكم قيحاً خير له من أن يمتلىء شعراً"[3].

ففي الآية الأولى لا نجد تحريماً للشعر، والحديث الشريف ينفر من الشعر السيء، أي إنه لا

---

(١) سورة الشعراء الآيات من ٢٢٤ إلى ٢٢٧.

(٢) سورة يس، آية ٦٩.

(٣) البخاري ٤٥/٨ ط دار الشعب.

يحرم الشعر بدليل قول الرسول ﷺ: "إن من الشعر حكمة"[1]، وقوله ﷺ:" أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: "ألا كل شيء ما خلا الله باطل"[2].

وقد قال ﷺ لحسان: "اهجهم أو هاجهم وجبريل معك"[3]. وكان ﷺ يسمع الشعر من وفود العرب، وربما رضي عن المذنب بسبب شعره كما حصل لكعب بن زهير عندما ألقى قصيدته: "بانت سعاد" بين يدي الرسول ﷺ. ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن المحرَّم من الشعر هو ما أتى بالشرك وصرف عن الإسلام أو خالف مبادئه أما غير ذلك فلم يرد فيه تحريم.

أغراض الشعر في عصر صدر الإسلام

أغراض الشعر في هذا العصر لا تكاد تختلف عن الأغراض التقليدية للشعر فيما عدا شعر الدعوة الإسلامية والفتوح.

لكن المعاني التي تحتويها هذه الأغراض تختلف عن معانيها في العصر الجاهلي وفيما يلي توضيح ذلك

المدح:

يهدف المدح في هذا العصر إلى الإشادة بالإسلام ورسول الإسلام، فليس هدف المادح طلب المال كما كان يفعل الجاهليون، وإنما هدفه رفع راية الإسلام والدعاية له حتى يدخل العرب فيه، وخير ما يمثل ذلك قول عبد الله بن رواحة:

يا هَاشِمَ الخَيْرِ إنَّ الله فَضَّلَكُم ... على البَرِيّةِ فضلاً ما لهُ غِيَرُ[4]

إنِّي تَفَرَّسْتُ فيكَ الخَيْرَ أعْرِفُهُ ... فِرَاسَةً خَالَفَتْهُمْ في الذي نَظَرُوا

---

(١) البخاري ٨/٤٢.

(٢) البخاري ٨/٤٤.

(٣) البخاري ٨/٤٥.

(٤) الغير: التغيير.

وَلَـوْ سـأَلْتَ أَوْ اسْتَنْـصَرْتَ بَعْـضَهُمُ في جُلِّ أَمْرِكَ مـا آوَوْا وَمَـا نَـصَرُوا[1]
فَثَبّـتَ اللهُ مـا آتَـاكَ مـن حَـسَنٍ تَثْبِيْتَ مُوسى ونَصْراً كالذّي نُصِرُوا[2]

ومن أجمل ما قيل في مدح الرسول ﷺ قصيدة (بانت سعاد) التي ألقاها كعب بن زهير بين يدي الرسول ﷺ، ومن أبيات تلك القصيدة قوله:

إِنَّ الرَّسُـولَ لنـورٌ يُسْتَـضَاءُ بِـهِ مُهَنَّـدٌ مـن سـيوفِ اللهِ مَـسْلولُ

ومَدَحَ النابغة الجعدي الرسول ﷺ فقال:

أَتَيْـتُ رسُـولَ اللهِ إِذْ جَـاءَ بالهُـدى وَيَتْلُـو كِتَابـاً كـالمجَرَّة نَيِّـرا[3]

فهؤلاء الشعراء لم يمدحوا الرسول بالكرم والشجاعة كما كان سائداً عند شعراء المدح في الجاهلية، وإنما مدحوه بما جاء به من الهدى والنور والقرآن بالإضافة إلى شجاعته ﷺ وكرمه؛ فمعاني المدح في الإسلام تختلف عن معاني المدح في الجاهلية.

وبعد وفاة الرسول ﷺ قل شعراء المدح وأصبح المدح ليس غرضاً للشعراء فالأبيات التي قيلت في مدح الخلفاء الراشدين قليلة إذا قيست بالأعمال التي قاموا بها.

الهجاء:

اسْتَعَرت نار الهجاء بين شعراء مكة وشعراء المدينة بعد هجرة الرسول ﷺ من مكة، والمعاني التي ترد في هجاء شعراء المدينة هي معان مختلفة، فقد يستعمل الشاعر المعاني المألوفة؛ من رمي خصمه بالهروب من المعركة والجبن، وقد يستعمل الشاعر المعاني الجديدة من رمي المهجو بالكفر والشرك، وكان حسان رضي الله عنه يكثر من المعاني التقليدية في الهجاء، وكان لذلك أثر كبير في من يهجوهم.

وبعد فتح مكة تضاءل الهجاء و لم يكن له شأن كبير وكان الخلفاء الراشدون يمنعون الشاعر من سب الناس والتعرض لأعراضهم.

---

(١) بعضهم: بعض قريش.

(٢) نصروا: يقصد الرسل. والأبيات في طبقات فحول الشعراء ١/٢٢٦.

(٣) الأغاني ٥/٩.

الحماسة:

الشعر الحماسي في الإسلام صَاحَبَ الدعوة الإسلامية منذ فجرها، فهو الشعر الذي يشجع المقاتلين من المسلمين على القتال ويعتز بانتصارات المسلمين على الأعداء، ومن الشعراء الذين كان لهم نصيب في هذا الشأن كعب بن مالك، فله أشعار حماسية في كثير من غزوات الرسول ﷺ؛ فمن ذلك قوله في معركة أُحد:

فجئنا إلى مَوْجٍ من البَحْرِ وَسْطَهُ ... أحابِيْشُ منهم حاسِرٌ ومُقَنَّعُ[1]

ثلاثةُ آلافٍ ونحنُ نَصِيّةٌ ... ثلاثُ مئينٍ إنْ كَثُرْنَا وَأَرْبَعُ[2]

فَرَاحُوا سِرَاعاً مُوجِفِيَن كَأَنَّهُمْ ... جَهَامٌ هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مُقْلِعُ[3]

ورُحْنَا وأُخْرَانَا تَطَائَا كَأَنَنَا ... أُسُودٌ عَلَى لَحْمٍ بِبِيشَةَ ظُلَّعُ[4]

وقال عبد الله بن رواحة في يوم مؤتة بعد أن قُتِلَ صاحباه زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب:

أَقْسَمْتُ يا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّهْ ... طَائِعَةً أَوْ لا لَتُكْرَهِنَّهْ

وَطَالَمَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ ... مَالِي أَرَاكِ تَكْرهِينَ الجَنَّة

الرثاء:

الرثاء من الأغراض التي كان لها شأن في زمن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، فالحروب مستعرة، والفتن تتهدد المسلمين، وفقد الرجال يصحب تلك الحروب وتلك الفتن. ومن أهم ما قيل في الرثاء في هذه الفترة قول حسان في رثاء الرسول ﷺ:

بِطِيْبَةَ رَسْمٌ للرسول ومَعْهَدُ ... منيرٌ وقد تَعْفُو الرُّسُومُ وتَهْمَدُ

---

(١) أحابيش: أحلاف قريش.

(٢) نصية القوم: خيارهم.

(٣) موجفين: مسرعين. الجهام: السحاب الخفيف الذي أفرغ ماءه.

(٤) بيشه: المدينة المعروفة في الجنوب الغربي من المملكة وكانت الأسود تكثر فيها.

وهي قصيدة طويلة، وله قصيدة أخرى مطلعها:

مَـا بَـالُ عَيْنِـكَ لا تَنَـامُ كأَنَّمَـا ... كُحِلَـتْ مآقِيْهَـا بِكُحْـلِ الأَرْمَـدِ

ويقول فيها:

يَـارَبِّ فاجْمَعْنَـا مَعـاً وَنَبِيَّنَـا ... فِي جَنَّـةٍ تَـثْنِي عُيُـونَ الحُـسَّدِ

صَلّى الإِلـه ومَـنْ يَحُـفُّ بِعَرْشِـهِ ... والطَّيِّبُـونَ علـى المُبـارَكِ أَحمَـدِ

وقال عبد الله بن رواحة يرثي حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما:

بَكَـتْ عَـيْنِي وحُـقَّ لَهَـا بُكَاهَـا ... وَمَـا يُغْـنِي البُكَـاءُ وَلا العَوِيـلُ

عَلَـى أَسَـدِ الإِلَـهِ غَـدَاةَ قَـالُوا ... أَحَمْـزَةُ ذاكُـمُ الرَّجُـلُ القَتِيـلُ

عَلَيْـكَ سَـلامُ رَبِّـكَ فِي جِنَـانٍ ... مُخالِطُهَـا نَعِيـمٌ لا يَـزُولُ

وقد رُثِيَ الخلفاءُ الراشدون بمراث كثيرة فمما قيل في أبي بكر قول حسان رضي الله عنهما:

إِذا تَـذكرتَ شَـجواً مِـن أخـي ثِقَـةٍ ... فَـاذكُر أخـاكَ أبـا بكْـرٍ بِمـا فَعَـلا

وكـان حِـبَّ رسُـولِ الله قـد عَلِمُـوا ... مِـنَ البَرِيّـةِ لم يَعْـدِلْ بِـهِ رَجُـلا

ومن خير ما قيل في رثاء عمر رضي الله عنه قول جَزْء بن ضرار الذبياني:

جَـزَى الله خَيْـراً مـن أمـيرٍ وباركَـتْ ... يَـدُ الله فِي ذَاكَ الأَديـمِ الممـزَّقِ[1]

فَمَـنْ يَـسْعَ أَوْ يَرْكَـبْ جَنَـاحي نَعَامَـةٍ ... لِيُـدْرِكَ مَـا حَاوَلْـتَ بـالأَمْسِ يُـسْبَق

قَـضَيْتَ أُمُـوراً ثُـمَّ غَـادَرْتَ بَعْـدَهَا ... بَوَائِـقَ فِي أَكْمَامِهَـا لَـمْ تُفَتَّـقِ[2]

وَمَـا كُنْـتُ أَخْـشَى أَنْ تَكُـونَ وَفَاتُـهُ ... بِكَفَّـي سَـبَنْتَى أَزْرَقِ العَـيْنِ مُطْـرِقِ[3]

وقد رثى أيمن بن خريم بن فاتك الأسدى عثمان بن عفان فقال:

ضَحّوْا بِعُثْمَانَ فِي الـشَهْرِ الحَـرَام وَلَـمْ ... يَخـشوْا عَلَـى مَطْمـح الكَـفُ الـذي

---

(١) الأديم: الجلد.

(٢) بوائق: غوائل. أكمامها: جمع كم وهو وعاء الثمر.

(٣) السبنتى: النمر أو هو مأخوذ من الإسبات وهو السكون والهدوء. الأبيات في طبقات فحول الشعرا ١/١٣٣.

مَـــادَا أرَادُوا أَضَـــلَّ الله سَـــعْيَهُمْ مـن سَـفْحِ ذَاكَ الـدَّمِ الزَّاكـي الـذي
إِنَّ الـــذين تَوَلـــوا قَتْلـــهُ سَـــفَهاً لاقَوْا أثاماً وخُـسْـرَاناً فَمَـا رَبِحُـوا[1]

أما رثاء علي بن أبي طالب فهو كثير، نختار منه قول أبي الأسود الدؤلي:

أفي شَـــهْرِ الـــصِّيامِ فَجَعْتُمُونَـــا بِخَيْـــرِ النَّـــاسِ طُـــراً أَجْمَعِينَـــا
قَتَلْـتُمْ خَيْـرَ مَـنْ رَكِـبَ المَطَايَـا وَخَيَّـسَها ومَـنْ رَكِـبَ الـسَّفِينا[2]
لَقَـدْ عَلِمَـتْ قُـرَيْشٌ حَـيْثُ حَلَّـتْ بِأَنَّـكَ خَـيْرُها حَـسَباً وَدِينَـا

وإذا نظرنا في معاني الرثاء وجدناها تجمع بين المعاني القديمة من مدح للميت بالشجاعة وتحمل المسؤوليات، والمعاني الجديدة حيث يطلب الشاعر للميت الرحمة ودخول الجنة ويمدحه بمحبة رسول الله له، ومن معاني الرثاء إظهار الأسف بعدم التكافؤ بين القاتل والمقتول ومدح الميت بالتديُّن.

شعر الدعوة والفتوح الإسلامية:

حث الإسلام على الدعوة إلى الله كما حث على قتال المشركين. نجد ذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وقد التزم المسلمون بالدعوة إلى الله والجهاد في سبيله كل بحسب طاقته وبحسب الوسائل المتاحة له، فالمسلم الشجاع يقاتل بسيفه، والشاعر يحمس المسلمين المجاهدين بشعره، وقد ساهم الشعراء في الدعوة إلى الله بأشعارهم كما فعل حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، فكان شعر هؤلاء خير وسيلة إعلامية للإسلام في ذلك الوقت، فإشادتهم بانتصارات المسلمين في بدر وثباتهم في أحد وصمودهم في الخندق كل ذلك فيه إشارات واضحة بأن المسلم مُعانٌ في قتاله وأن المشرك يسير في طريق الضلال، والشعراء الذين دخلوا في الإسلام متأخرين أسهموا في الدعوة إلى الله، فشعر بجير بن أبي سلمى أثر في أخيه كعب فأسلم، والأبيات التي أرسلها بجير إلى أخيه كعب يدعوه فيها إلى الإسلام هي:

---

(١) الكامل ٢/ ٧٣٨.

(٢) خيسها: ذللها. والأبيات في الأغاني ٣٢٩/١٢.

إلى الله لا العـزى ولا الـلات وحـدَهُ فتنجـو إذا كـان النجـاءُ وتـسلمُ
لـدى يـوم لا ينجـو ولـيس بمفلـتٍ مـن النـار إلا طـاهرُ القلـبِ مـسلمُ
فَـدِينُ زُهَيْـرٍ وهـو لا شـيء بَاطـلٌ وَدِيْـنُ أبـي سُـلْمَى عَلَـيَّ مُحَـرَّمُ

وقد أسلم كعب وحسن إسلامه بسبب شعر أخيه بجير، بل إنه صنع قصيدة اشتهرت بـــ (بانت سعاد) تشتمل على أبيات تشيد بالرسول ﷺ والصحابة.

وقد خرج الصحابة إلى القتال تاركين زوجاتهم وأبناءهم الكبار في السن وأمهـاتهم، وقـد صاحب تلك المواقف أشعار مؤثرة تنبئُ عن عمق العقيدة في النفس وتغلغلها في الوجدان، ومـن الأشعار التي سجلت بعض المواقف قول النابغة الجعدي يخاطب زوجته حـين اعترضـت علـى خروجه، يقول النابغة:

بَاتَـتْ تُـذَكِّرُني بـالله قَاعِـدَةً والدَّمْعُ يَنْهَـلُّ مـن شَـأْنَيْهِمَا سَـبَلاً[1]
يـا بنـت عَمِّـي كِتَـابُ الله أَخْـرَجَنِي كُرْهـاً وَهَـلْ أمـنعنَّ الله مَـا فَعَـلا
فَـإِنْ رَجَعْـتُ فَـرَبُّ النَـاسِ يُـرْجِعُنِي وإِنْ لَحِقْـتُ بِرَبِّـي فـابْتَغِي بَـدَلا
مَـا كُنـتُ أَعْـرَجَ أَوْ أَعْمَـى فَيَعْـذرَنِي أَوْ ضَـارِعاً مـن ضَـنىً لَـمْ يَـسْتَطِعْ[2]

وقد صاحب الشعرُ الفتوحَ الإسلامية في العراق وبلاد المشرق، وفي الشام ومـصر وبـلاد المغرب، وكله ينبئ عن الصبر وتحمل المشاق؛ من ذلك ما قاله بشر بن ربيعة الخثعمي في موقعـة القادسية:

تَـذَكّرْ هـداك الله وقْـعَ سُـيُوفِنَا بِبـابِ قُـدَيْسٍ والمكَـرُّ عـسيرُ[3]
عَـشِيَةَ ودَّ القـومُ لـو أن بعـضَهُمْ يُعَـارُ جَنَـاحَيْ طـائرٍ فَـيَطِيرُ

(١) أسبل الدمع إذا انهمر والاسم السبل.
(٢) الضارع: النحيف. الضنى: المرض. والأبيات في الشعر والشعراء ١/ ٢٩٣.
(٣) قديس: موضع في القادسية.

إِذَا مَـا فَرَغْنَـا مِـن قِـرَاعِ كَتِيْبَـةٍ دَلَفْنَـا لأُخْـرَى كالجِبَـال تَـسيرُ[1]

تَـرَى القَـوْمَ فيْهَـا واجَمَـينَ كـأنَّهُم حِمَـالٌ بِأحمَـالٍ لهُـنَّ زَفِـيرُ[2]

وقد اشتهر من شجعان الفتوح شعراء جمعوا بين الشجاعة والشعر، ومن أشهر الشعراء الشجعان القعقاع بن عمرو التميمي، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي. وإذا تتبعنا الموضوعات التي قيل فيها شعر الفتوح وجدناها تدور حول الحماسة والرثاء، والحنين إلى الوطن.

(١) دلفنا: تقدمنا.

(٢) الوجوم: السكوت على غيظ. والأبيات في الأغاني ١٥/٢٤٣ وبشر بن ربيعة شاعر إسلامي ومن أشهر فرسان القادسية وقد منع سعد بن أبي وقاص عطاءه؛ لأنه لا يحفظ القرآن فقال هذه الأبيات.

خصائص الشعر في صدر الإسلام

(أ) خصائص المعاني:

تختلف معاني الشعر في عصر صدور الإسلام عنها في العصر الجاهلي، ومن أهم ما يميز تلك المعاني ما يلي:

١- **تسخير معاني الشعر لخدمة العقيدة الإسلامية وتوسيع دائرة الإسلام.**

٢- **اشتمال الشعر على كثير من معاني القرآن الكريم والحديث الشريف**، فحسان رضي الله عنه أخذ معنى الآية الكريمة: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ وجعله في هذا البيت:

عَزيزٌ عليه أنْ يَحِيدُوا عَنِ الهُدى حَرِيصٌ على أنْ يَسْتَقِيْمُوا وَيَهْتَدُوا

٣- الابتعاد عن التخبط، فالمعاني تسير في طريق رسمه القرآن ووضحه الرسول ﷺ.

٤- التعبير عن تقوى الله وعن الورع الذي يملأ قلوب الشعراء. يقول بجير بن زهير بن أبي سلمى:

إلى اللهِ لا العُزَّى ولا اللاتِ وحْدَهُ فتنجو إذا كان النجاءُ وتَسْلَمُ

لدى يوم لا ينجو وليس بمفْلِتٍ من النار إلا طاهر والقلبِ مُسْلِمُ

على أن معاني الشعر الإسلامي لم تنفصل انفصالاً تاماً عن معاني الشعر الجاهلي فالمعاني التي أهملت في الإسلام هي المعاني التي نفاها الإسلام وأنكرها، أما المعاني التي لم ينفها الإسلام فإنها بقيت متداولة لدى الشعراء في عصر صدر الإسلام؛ فالمدح الخالي من المبالغة موجود عند كعب ابن زهير وحسان وغيرهما، والهجاء الذي يقلل من شأن الكفار وينفرهم من الحالة التي يعيشون فيها موجود عند شعراء الرسول ﷺ، والمعاني الحماسية التي تهدف إلى قتل الكفار وتنشيط المقاتلين من المسلمين موجودة أيضاً في الشعر الإسلامي.

(ب) خصائص الأسلوب:

كما اختلفت المعاني الشعرية في عصر صدر الإِسلام، وتميزت عن العصر الجاهلي، فإِن هـذا الاختلاف شمل أسلوب الشعر أيضاً. وأهم ما يميز أسلوب الشعر في هذا العصر ما يلي:

١- التأثر بأسلوب القرآن الكريم والحديث الشريف.

٢- البعد عن الجفاء والغلظة في الأسلوب لوجود العاطفة الإِسلامية الرقيقة، مثل الورع والتقوى ومخافة الله.

٣- سهولة الألفاظ حيث يفهمها عامة الناس.

٤- وجود ألفاظ جديدة في أساليب الشعراء في هذا العصر. مثل: الجنة، النار، الكفار، المشركون، الفاسق...

٥- البعد عن الصنعة والتكلف في معظم أساليب الشعر وألفاظه، فحسان رضي الله عنه يضطر إِلى الرد على الوفود بشعر مرتجل، وعبد الله بن رواحة يرتجل في شعره، وخير شاهد على ذلك قوله:

خلوا بني الكفار عن سبيله خلو فكل الخير مع رسوله

مناقشـــــــة

١- ما أثر القرآن في اللغة والأدب؟

٢- تحدث عن بلاغة الحديث وأثره في اللغة والأدب.

٣- تحدث بإِيجاز عن موقف الإِسلام من الشعر.

٤- قارن بين غرضي المدح والهجاء في العصر الجاهلي وعصر صدر الإِسلام.

٥- اذكر أهم ما يميز معاني الشعر في عصر صدر الإِسلام.

٦- اذكر خصائص أسلوب الشعر في عصر صدر الإِسلام.

٧- استحدث غرض جديد للشعر في عصر صدر الإِسلام. اذكره، وتحـــدث عنه.

نماذج من الشعر في عصر صدر الإسلام

(١) قصيدة العباس بن مرداس(*):

١- لَعَمـرِيَ إنّـي يَـوْمَ أجْعَـلُ جَاهِـداً ضِـمَاراً لـربِّ العـالمين مُـشَارِكَا[١]

٢- وَتَرْكِـي رَسُـولَ الله والأوْسُ حَوْلَـهُ أولئـكَ أنـصارٌ لـه مـا أولئِكَـا ؟

٣- كَتَاركِ سَهْلِ الأرْضِ والحَـزْنَ يَبْتَغـي لِيَـسْلُكَ في غَيْـبِ الأمُـورِ المـسَالِكَا

٤- فآمنـتُ بـاللهِ الـذي أنَـا عبـدُهُ وخَالَفْـتُ مـن أمْـسى يُرِيـدُ المَمَالِكَـا

٥- ووَجّهْتُ وجْهِي نَحْـوَ مَكّـةَ قَاصِـداً وتَابَعْـتُ بَـيْنَ الأخْـشَبَين المُبَاركـا[٢]

٦- نَـبيٌّ أتانـا بعـد عيـسى بِنَـاطِقٍ مـن الحـقِّ فيـه الفـصلُ منـه كـذلكا

٧- أمِينـاً علـى الفُرْقَـانِ أوّلُ شَـافِعٍ وآخِـرُ مَبْعُـوثٍ يُجِيـبُ الملائِكَـا

٨- تَلافَى عُرَى الإسلام بَعْـد انْفصَامِها فَأحكَمَهَـا حَتـى أقَـامَ المَنَاسِـكَا

٩- رَأيْتُـكَ يَـاخَيْرَ البَرِيَّـةِ كُلِّهَـا تَوَسّطْتَ في القُرْبَي من المَجْدِ مَالِكـا[٣]

١٠- سَـبَقْتَهُم بالمَجْـدِ والجُـود والعُـلا وبالغَايَةِ القُصْوَى تَفُوتُ السنَابِكَا[٤]

١١- فَأنْتَ المُصَفّى من قُـرَيش إذَا سَـمَتْ غلاصِمُهَا تَبْغي القُـرُومَ الفَوَارِكَـا[٥]

(*) تعريف بالشاعر: هو العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، شاعر فارس، وأمه الخنساء الشاعرة، أسلم في السنة التي فتحت فيهـا مكـة، وقال هذه القصيدة عند ما دخل الإيمان قلبه وتوجه للرسول ﷺ، وقد توفي العباس في خلافة عمر سنة ١٨هـ.

(١) ضمار: صنم لبني سليم.

(٢) الأخشبان: جبلان بمكة، وهما أبو قبيس وقيقعان.

(٣) يعني مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر.

(٤) السنابك: حوافر الخيل.

(٥) الغلاصم: جمع غلصمة وهي أصل اللسان وتطلق على الجماعة أو السادة. والقروم: جمع قرم وهو السيد والفوارك: جمع فارك وهو المـبغض لزوجته. يريد أن نساءهم لا تلهيهم عن عظائم الأمور. والقصيدة في الأغاني ١٤/ ٣٠٤.

(٢) قصيدة كعب بن زهير(*) (بانت سعاد):

١- بانت سعادُ فقلبي اليومَ مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَم يُفْدَ مَكْبُولُ[١]

٢- وما سعادُ غداةَ البَيْنِ إِذْ رَحَلُوا ... إِلاَّ أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ[٢]

٣- أَنْبِئْتُ أَنَّ رسول الله أَوْعَدَنِي ... والعَفْوُ عند رسول الله مَأْمُول

٤- مهلاً هداكَ الذي أعْطَاكَ نَافِلَةَ الْـ ... ـقُرْآنِ فيهَا مواعيظٌ وتَفْصِيلُ

٥- لا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوالِ الوُشَاةِ وَلَمْ ... أَذْنِبْ وإِنْ كَثُرَتْ فِيَّ الأَقَاوِيلُ[٣]

٦- إِنَّ الرَّسُولَ لَنورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ من سُيُوفِ الله مَسْلُولُ[٤]

٧- فِي عُصْبَةٍ من قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمّا أَسْلَمُوا زُولُوا[٥]

٨- زالُوا فَمَا زالَ أَنْكَاسٌ ولا كُشُفٌ ... عند اللِّقَاءِ ولا مِيلٌ مَعَازِيلُ[٦]

٩- شُمُّ العَرَانِينِ أَبطَالٌ لَبُوسُهُمُ ... من نَسْجِ داودَ في الهيجَا سَرَابِيلُ[٧]

١٠- لا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالَتْ رِمَاحُهُمُ ... قَوْماً ولَيْسُوا مَجَازِيعاً إِذَا نِيلُوا[٨]

١١- لا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلا في نُحُورِهِمُ ... ومالَهُمْ عن حِيَاضِ الموتِ تَهْلِيلُ[٩]

(*) تعريف بالشاعر: كعب بن زهير هو ابن زهير بن أبي سلمي الشاعر المشهور في الجاهلية، وكعب من قبيلة مزينة إحدى قبائل مضر وقد مدح بهذه القصيدة النبي ﷺ أما وفاة كعب فهي في سنة ٢٦هـ.

(١) بانت: بعدت وفارقت، وسعاد اسم امرأة. متبول: مصاب بتبل وهو الهلاك. متيم: مدلل. إثرها: بعدها. لم يفد: لم تقدم فدية لفكه من الأسر. مكبول : مقيد ومحبوس.

(٢) البين: البعد والفراق. أغن: الأغن من الغزلان الذي في صوته غنة والغنة صوت يخرج من الخياشيم. غضيض الطرف: فاتره والغض: الكسر والفتور. مكحول: شديد سواد شعر الجفون.

(٣) الوشاة: جمع واش وهو النمام الكاذب.

(٤) مهند: منسوب إلى الهند. مسلول: مخرج من جرابه.

(٥) العصبة: الجماعة من الناس ما بين العشرة إلى الأربعين. زولوا: اذهبوا واخرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة.

(٦) أنكاس: جمع نكس وهو الرجل الضعيف، الكشف: جمع أكشف وهو الذي لا ترس معه. ميل: جمع مائل وهو من لا يثبت على السرج. ومعازيل: جمع أعزل وهو من لا رمح معه.

(٧) شم العرانين: شم: جمع أشم، والعرانين جمع عرنين وهو الأنف. ومعنى أشم: عالي الأنف.. من نسج داود: يقصد الدروع لأن أول من صنعها داود. الهيجاء: الحرب. سرابيل: جمع سربال وهو القميص أو الدرع والمقصود هنا الدرع.

(٨) مجازيع: جمع مجزاع وهو الكثير الجزع.

(٩) النحور: جمع نحر وهو أعلى الصدر. حياض الموت: ميادين الحرب. تهليل: نكوص وجبن وخوف. والقصيدة في جمهرة أشعار العرب ٧٨٨/٢.

(٣) قصيدة النابغة الجعدي(*):

١- خَلِيلَـيَّ عُوجَـا سـاعةً وتَهَجَّـرا ... ولُومَا على مَا أَحْـدَثَ الـدَّهْرُ أو دَرَا[١]

٢- ولا تَجْزَعَـا إنَّ الحَيَـاةَ قَـصِيرَةٌ ... فَخِفَّـا لِرَوْعَـاتِ الحَـوادِثِ أَوْ قِـرا[٢]

٣- وإنْ جـاءَ أَمْـرٌ لا تُطِيقَـانِ دَفْعَـهُ ... فَلاَ تَجْزَعَـا مِمَـا قَـضَى اللهُ واصْـبرَا

٤- أَلَـمْ تَرَيَـا أَنَّ الملامَـةَ نَفْعُهَـا ... قَلِيـلٌ إِذَا مـا الـشَّيءُ ولَّـى وأَدْبَـرَا

٥- تَهِـيجُ البُكَـاءَ والنَّدَامَـةَ ثُـمَّ لاَ ... تُغَيِّـر شَـيْئاً غَيْـرَ مَـا كَـانَ قُـدِّرَا

٦- أَتَيْـتُ رسُـولَ اللهِ إذْ جـاءَ بالهُـدى ... وَيَتْلُـو كِتَابـاً كَـالْمَجَرَّةِ نَيِّـرَا[٣]

٧- وَجَاهَدْتُ حَتّى ما أُحِسُّ وَمَنْ مَعِي ... سُـهَيْلاً إِذَا مَـا لاحَ ثُمَّـتَ غَـوَّرَا

٨- أُقِيمُ علـىَ التّقَـوَى وأَرْضـىَ بِفِعْلِهَـا ... وكُنْتُ مِـنَ النّـارِ المَخُوفَـةِ أَوْجَـرَا[٤]

٩- وَلا خَيْـرَ في حلـمٍ إِذَا لَـمْ يَكُـنْ لَـهُ ... بَـوَادِرُ تَحْمِـي صَـفْوَهُ أَنْ يُكَـدَّرَا

١٠- وَلاَ خَـيرَ في جَهْـلٍ إِذَا لَـمْ يَكُـنْ لَـهُ ... حَلِـيْمٌ إِذَا مـا أَوْرَد الأَمْـرَ أَصْـدَرَا

١١- فَفِـي الحِـلْم خَيْـرٌ في أُمـورٍ كَـثِيرةٍ ... وفي الجَهْـلِ أَحْـيَاناً إِذَا مَـا تَعَـذَّرا

(*) تعريف بالشاعر: هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي، وسمي النابغة، لأنه نبغ في الشعر بعد أن بلغ ثلاثين سـنة. وقـد تـوفي بأصبهان سنة ٥٠هـ.

(١) تهجرا: سيرا في الهاجرة وهي نصف النهار عند زوال الشمس إلى العصر. ذرا: مخففة من ذرأ، وهي مرادفة لأحدث.

(٢) قرا: مصدرها الوقار وهو الرزانة والحلم.

(٣) المجرة: نجوم مجتمعة في السماء يصدر عنها نور.

(٤) أوجر: خائف.

(٤) قصيدة متمم بن نويرة(*):

١- أَقُـولُ وقـد طـارَ الـسّنَا في رَبَابِـهِ ... بِجَـوْنٍ يَـسُحُّ المَـاءَ حَتّـى تَرَيّعَـا[١]

٢- سَـقَى الله أرْضـاً حَلَّهَـا قَبْـرُ مالِـكٍ ... ذِهَابَ الغَوَادِي المُـدْجِنَاتِ فَأَمْرَعَـا[٢]

٣- تَحيّتُـــه مـــني وإنْ كَـــانَ نَائِيـــاً ... وأَمْسَى تُرَاباً فَوْقَـهُ الأَرْضُ بَلْقَعَـا[٣]

٤- فَـإِنْ تَكُـنِ الأيّـامُ فَـرَّقْنَ بَيْنَنَـا ... فَقَـدْ بـانَ مَحْمُـوداً أخِـي يَـوْمَ ودَّعَـا

٥- وَعِـشْنَا بِخَـيرٍ في الْحَيَـاةِ وَقَبْلَنَـا ... أَصَـابَ المَنَايـا رَهْـطَ كِـسْرَى وَتُبَّعَـا

٦- فَلَمّـا تَفَرَّقْنَـا كَـأَنّي وَمَالِكـاً ... لِطُـولِ اجْتِمَـاعٍ لَـمْ نَبِـتْ لَيْلَـةً مَعَـا

٧- تَقُـولُ ابنـةُ العَمْـرِيّ: مالَـكَ بَعْـدَمَا ... أَرَاكَ قَـدِيْمَاً نَـاعِمَ الوَجْـهِ أفْرَعَـا؟[٤]

٨- فَقُلتُ لَهَـا: طُـولُ الأَسَـى إِذْ سَـأَلْتِنِي ... وَلَوْعَةُ حُزْنٍ تَتْـرُكُ الوَجْـهَ أَسْـفَعَا[٥]

٩- وفَقْـدُ بَـنِي أُمَّ تَوَلّـوْا وَلَـمْ أَكُـنْ ... خِلاَفَهُـمُ أَنْ أَسْـتَكِينَ فأَخْـضَعَا

١٠- ولِكـنَّني أَمْـضي عَلَـى ذاكَ مُقْـدِماً ... إِذَا بَعْـضُ مَـنْ يَلْقَـى الخُطُـوبَ

١١- قَعِيـــدَكِ أَلاَّ تُـــسْمِعِيني مَلامَـــةً ... وَلا تَنْكِئِـي قَـرْحَ الفُـؤادِ فَيَيْجَعَـا[٦]

١٢- وَحَسْبُكِ أَنّى قَدْ جَهَـدْتُ فَلَـمْ أَجِـدْ ... بِكَفِّـــيَ عَنْـــهُ لِلْمَنِيَّـــةِ مَدْفَعَـــا

(*) تعريف بالشاعر: هو متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد، من بني يربوع من تميم، كان قصياً أعور وقد قال هذه القصيدة في رثاء أخيه مالك الذي قتل في حروب الردة. وقد توفي متمم سنة ٣٠هـ.

(١) السنا: ضوء البرق. الرباب: السحاب. الجون: السحاب الأسود. تريع: تردد.

(٢) الذهاب: جمع ذِهْبَة وهي المطرة الغزيرة. الغوادي: التي تغدو بالمطر. المدجنات: السحاب التي تغطي السماء فلا يرى. أمرع: أخصب.

(٣) أرض بلقع: لا أحد فيها ولا نبات.

(٤) ابنه العمري: زوجته. الأفرع: الكثير شعر الرأس.

(٥) أسفع: أسود ضارب إلى الحمرة.

(٦) قعيدك: أصله قعيدك الله، كقولك نشدتك الله وهو من أيمان العرب. تنكئي: من قولهم نكأت القرحة إذا قشرتها. ييجع: لغة تميم، ولغة قريش: يوجع.

(٥) قصيدة كعب بن مالك(*):

١- مَـنْ مُبْلِـغُ الأَنْـصَارَ عَـني آيَـةً ... رُسُـلاً تَقُـصُّ عَلَـيْهِمُ التِّبْيَانـا

٢- أنْ قَـدْ فَعَلْـتُم فَعْلَـةً مَـذْكُورَةً ... كَسَتِ الفُضُوحَ وأَبْدَتِ الشَّنَآنا[١]

٣- بِقَعُـودِ كُـمْ في دُورِكُـمْ وأَميرُكُـمْ ... تُحْـشَى ضَـوَاحي دَارِهِ النِّيرَانـا

٤- بَيْنَـا يُرَجَّـى دَفْعُكُـمْ عَـنْ دَارِهِ ... مُلِئَـتْ حَرِيْقـاً كَابِيـاً ودُخَانـا[٢]

٥- حَتّـى إِذَا خَلَـصُوا إِلى أَبْوَابِـهِ ... دَخَلـوا عَلَيْـهِ صَـائِماً عَطْـشَانَا

٦- يُعْلُـونَ قُلَّتَـهُ الـسُّيُوفَ وَأَنْـتُمُ ... مُتَلَبِّثُـونَ مَكَـانَكُمْ رِضْـوَانَا[٣]

٧- اللهُ يَعْلَـمُ أَنَّـني لَـمْ أَرْضَـهُ ... لَكُـمُ صَـنِيعاً يَـوْمَ ذَاكَ وشَـانَا

٨- يَـالَهْفَ نَفْـسي إِذْ يَقُـولُ: أَلاَ أَرَى ... نَفَـراً مِـنَ الأَنْـصَارِ لـي أَعْوَانَـا

٩- إِنِّـي رَأَيْـتُ مُحَمَّـداً إِخْتَـارَهُ ... صِـهْراً وَكَـانَ يَعُـدُّهُ خُلْـصَانَا[٤]

١٠- فَلَـوَ انْكُـمْ مـعَ نَـصْرِكُمْ لِنَبِـيِّكُمْ ... يَـوْمَ اللِّقَـاء نَـصَرْتُمُ عُثْمِانَـا

١١- أَنْـسِيْتُمُ عَهْـدَ النَّبِـيِّ إِلَـيْكُمُ ... وَلَقَـدْ أَلَـظَّ وَوَكَّـدَ الأَيْمَانـا[٥]

(*) تعريف بالشاعر: هو كعب بن مالك بن عمرو الخزرجي، وهو من شعراء النبي ﷺ ومن الذين أنجدوا عثمان ودافعوا عنه، وقد ألقى هذه القصيدة التي يؤنب فيها الأنصار على تقاعسهم عن نصرة عثمان ويؤبن فيها عثمان رضي الله عنه، ألقاها في مجلس الأنصار في مسجد الرسول ﷺ، فلما سمعوا ما قال بكوا واستغفروا الله، وقد توفي كعب سنة ٥٠هـ.

(١) الشنآن: البغضاء.

(٢) كابياً: دخان وفحم. أي إن هذا الحريق الضخم اختلط دخانه بفحمه.

(٣) رضواناً: راضون.

(٤) الخلصان: الصديق الخالص.

(٥) ألظ: ألح. والقصيدة في الأغاني ٢٢٨/١٦.

دراسة مُفصَّلة لبعض شعراء صدر الإِسلام:

حســـان بن ثابـــــت

حياتـــه:

حسان بن ثابت ينتسب إلى الخزرج فهو حسان بن ثابت بن المنذر من بني النجـــار أخـــوال النبي ﷺ ثم من الخزرج، والخزرج قبيلة قحطانية. ولد في يثرب قبل مولد الرســـول ﷺ بثمـــان سنوات وعاش عمراً مديداً في الجاهلية.

وحسان شاعر مشهور في الجاهلية اتصل بالغساسنة ومدحهم وأخـــذ جـــوائزهم، واتـــصل بالمناذرة ومدحهم وأخذ جوائزهم، وقد كان بين الأوس والخزرج أيام مشهورة في الجاهلية ولذلك نجد حساناً يدافع عن الخزرج ويهجو الأوس. وبعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة كان حسان هو شاعر الإِسلام الأول؛ فقد دافع عن الإِسلام بلسانه دفاعاً مجيداً حتى أصـــبح زعـــيم المناقـــضات الشعرية بين المسلمين والمشركين. ويملك حسان حصناً وبستاناً في المدينة، وحصنه مـــن أجـــود الحصون، وقد كان النبي ﷺ يضع أهله في حصن حسان عندما يخرج للغزو. وبعد وفاة الرســـول ﷺ كان الصحابة يقدرونه ويجلونه جزاء ما قدم من الأعمال الصالحة في الدفاع عن الإِسلام.

وقد عاصر حسان حروب الردة، وسمع ورأى في خلافة عمر بن الخطـــاب كيـــف قـــوض المسلمون مملكتي غسان في الشام والمناذرة في العراق اللتين كان ينتجعهما طلباً للعطاء في الجاهلية. وقد امتد به العمر حتى شاهد كيف يزيل الإِسلام دولة الفرس العظيمة وكيف يقهر المسلمون دولة الروم في الشام ومصر. فحسان من المعمرين، فقد عاش ستين سنة فى الجاهلية وســـتين ســـنة في الإِسلام، وتوفي في خلافة معاوية سنة ٥٤هـــ.

شعـــــره:

حسان بن ثابت امتد به العمر مئة وعشرين عاماً، فقال أشعاراً كثيرة في هذا العمر الطويل، وقد عرف عنه في الجاهلية أنه من أشعر أهل القرى، وعرف عنه في الإِسلام أنه شاعر الرســـول، وديوانه يجمع شعره الجاهلي و الإِسلامي، وسنتناول فيما يلي كلا النوعين من شعره.

(أ) شعره في الجاهلية

كان حسان بن ثابت في العصر الجاهلي شاعر الخزرج يدافع عنهم ويرد على شعراء الأوس، وقد اشتهر شعره في العصر الجاهلي، وتعدى يثرب، بل إنه وصل إلى العراق والشام وسوق عكاظ، وقد قال حسان الشعر في العصر الجاهلي في الأغراض التالية:

١- المدح:

يعتبر مدح حسان في الجاهلية من أجمل شعره وأقواه بل إن مدحه في الجاهلية يمثل شعره القوي في أسلوبه ومعانيه، ومن أجود ما قال في المدح قوله في الغساسنة:

لله دَرُّ عِصَابَةٍ نَادَمْتُهُمْ ... يوماً بِجِلَّقَ في الزمان الأوَّلِ[(١)]

يمشون في الحُلَلِ المُضَاعَفِ نَسْجُهَا ... مَشْيَ الجِمَالِ إلى الجمالِ البُزَّلِ[(٢)]

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهُمْ ... شُمُّ الأنُوفِ من الطِّرَازِ الأوَّلِ

٢- الفخر:

فخر حسان في الجاهلية لا يقل جودة عن المدح، فهو الغرض الثاني الذي يلي المدح، وأسلوبه في الفخر يشبه أسلوبه في المدح، ومن أجود ما قال في الفخر قوله:

لنا حاضرٌ فَعْمٌ، وبادٍ كأنهُ ... شَمَارِيْخُ رَضْوَى عِزَّةً وتكرُّما[(٣)]

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى ... وأسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ من نجدةٍ دَمَاً[(٤)]

فَكُلُّ مَعَدٍّ قد جَزَيْنَا بِصُنْعِهِ ... فَبُؤسَى يُبُؤسَاها، وبالنُّعْم أَنْعُمَا

---

(١) جلق: موضع قرب دمشق.

(٢) الجمال البزل: جمع بازل وهو الجمل الذي أكمل ثماني سنوات ودخل التاسعة.

(٣) فعم: كثير. شماريخ: أعالي الجبل. رضوى: جبل قرب ينبع.

(٤) الجفنات: القصاع. الغر: البيض.

٣- الهجـــــاء:

قال حسان أشعاراً كثيرة في الهجاء وخصوصاً في هجاء الأوس، فقد كانـــت الحـــروب لا تنقطع بين الأوس والخزرج، وبما أن قيس بن الخطيم شاعر الأوس يهجو الخزرج فإن حـــسان لا يألو جهداً في هجاء الأوس، ومعانيه في الهجاء هي الجبن والهروب من المعارك وذلة الجدود وغـــير ذلك من المعاني التي نجدها في هجائه.

٤- الغـــــزل:

ومن الأغراض التي قال حسان فيها الشعر في جاهليته الغزل، وكان يستخدمه وسيلة لتأديـــة غرضه الشعري، فهو يكون في مقدمة القصيدة في الغالب، ومن غزله قوله:

تـــذكرتُ ليلـــى وأنَّـــى بِهَـــا ... إِذَا قُطِّعَـــتْ منـــكَ أَقْرَانُهَـــا[1]

مهـــاةٌ مِـــنَ العِـــينِ تَمْـــشِي بِهَـــا ... وَتَتْبَعُهَـــا ثَـــمَّ غِزْلاَنُهَـــا

وَقَفْـــتُ عليهَـــا فـــساءلتُها ... وقـــد ظعـــنَ الحـــيُّ مـــا شَـــانُهَا

فَعَيَّـــتْ وجَـــاوَبَنِي دُونَـــهَا ... بِمَـــارَاعَ قَلْبِـــيّ أَعْوَانُهَـــا

(١) الأقران: جمع قَرَنَ وهو الحبل.

(ب) شعره في الإسلام

حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ، وشعره في الإسلام يسير وفق العقيدة الإسلامية، فمن أول ما قال في الإسلام قوله:

شهدتُ بإذن الله أن محمداً ... رسولُ الذي فَوْقَ السمواتِ مِنْ عَلُ
وأن أخا الأحقافِ إذْ يَعْذِلُونَهُ ... يقومُ بدين الله فيهِمْ فَيَعْدِلُ[1]
وأن أبا يحيى ويحيى كِلاَهُمَا ... له عملٌ في دينه مُتَقَبَّلُ[2]
وأنَّ الذي عادَى اليهودُ ابنَ مَرْيَمٍ ... رَسُولٌ أتى من عند ذِي العَرْشِ مُرْسَلُ

وقد كان النبي ﷺ يجل حسان ويقدره بل إنه يستمع إلى شعره في المسجد، وقد قال الشعر في الإسلام في الأغراض القديمة ولكنه سخر أغراضه في الإسلام لخدمة الإسلام ونشره والرد على مناوئيه، ومن الأغراض التي قال فيها الشعر في إسلامه: المدح، والهجاء والرثاء.

١- المدح:

لقد مدح حسان الرسول ﷺ ومدح المهاجرين وخص رجالاً من الصحابة بمدائح رائعة، وإذا تتبعنا المعاني التي يختارها لمدائحه وجدناها معاني إسلامية؛ فهو يمدح النبي ﷺ بالنبوة وباقتران اسمه باسم الله في الأذان، وبتطهيره الأرض من الأصنام؛ يقول حسان في ذلك:

أغَرُّ، عليه للنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ ... من الله مَشْهُودٌ يلوحُ ويُشْهَدُ
وضَمَّ الإلهُ اسمَ النَّبِي إلَى اسْمِهِ ... إذا قالَ في الخمسِ المؤذنُ أشْهَدُ
وشَقَّ لَهُ من إسمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ
نَبِيٌّ أتَانَا بعدَ يَأسٍ وَفَتْرَةٍ ... من الرُّسْلِ والأوثانُ في الأرض تُعبدُ
فأمسَى سِرَاجاً مُسْتَنِيراً وَهَادِياً ... يلوحُ كما لاحَ الصَّقِيلُ المُهَنَّدُ

---

(١) هو: هود عليه السلام وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ﴾ والأحقاف الجزء الجنوبي الشرقي من الربع الخالي.

(٢) أبو يحيى هو زكريا عليهما السلام.

وأنذرَنَـــا نـــاراً وَبَـــشَّرَ جَنَّـــةً وعلَّمَنَـــا الإِسْـــلامَ فَـــاللهَ نَحْمَـــدُ

وبجانب المعاني الإِسلامية نجد لحسان معاني قديمة كما في قصيدته التي رد بها على وفد بـــني تميم والتي مطلعها:

إِنَّ الـــذوائِبَ مـــن فِهْـــرٍ وإِخْـــوَتِهِمْ قـــد بَيَّنُـــوا سُـــنَّةً للنَّـــاسِ تُتَّبَـــعُ

وكما في قصيدته التي يمدح بها الزبير بن العوام والتي يقول فيها:

هـو الفـارسُ المشهورُ والبطـلُ الـذي يـصولُ إِذَا مـا كـانَ يـوْمٌ مُحَجّـلُ

٢- الهجاء:

معظم هجاء حسان في قريش قبل أن يدخلوا في الإِسلام فقد قال فيهم:

أمَـا قُـريْشٌ فـإِنِّي لَـسْتُ تـارِكَهُمْ حتَـى يُنيبُـوُا مـن الغَيَّـاتِ بالرَّشَـدِ
ويتركُـوا الـلاّتَ العُـزَّى بِمَعْزلَـةٍ ويـسجُدُوا كُلُّهُـمْ للواحـدِ الـصَّمَدِ
ويـشهدُوا أنَّ مـا قـالَ الرَّسُـولُ لَهُـمْ حـقٌ ويوفُـوا بعَهْـدِ الله فـي سَـدَدِ

وقد أذن النبي ﷺ لحسان بهجاء المشركين ودعا له حيث قال: " اللهم أيّده بروح القـدس" وقد استمع النبي ﷺ إلى هجائه ثم قال: " لَهَذا أشدُّ عليهم من وقع النبل" وفي حديث عنه ﷺ أنه قال: "أمرتُ عبد الله بن رواحة بهجاء قريش فقال وأَحْسَن، وأمرتُ كعب بـن مالـك فقـال وأحسن، وأمرتُ حسان بن ثابت فشفى واشتفى". وكان حسان لا يهجو قريشاً بـالكفر وإنمـا يهجوهم بالهزائم في الحرب، والطعن في أنسابهم، وقد كان النبي ﷺ يقول: " اهجهـم وجبريـل معك"، وكان يرسله إلى أبي بكر ليخبره بأنساب قريش. وكان هجاء حسان قاسياً فقـد بكـى الحارث بن عوف المري حين قال فيه حسان:

يَـا حَـارِ مَـنْ يَغْـدُرْ بِذمَّـةِ جَـارِه مِـنْكُمْ فَـإِنَّ محمـداً لَـمْ يَغْـدُرِ
إِنْ تَغْـدروا فالغَـدْرُ مِـنْكُمْ شَـيْمَةٌ والغَـدْرُ يَنْبُـتُ في أصُـولِ الـسَّخْبَرِ

واعتذر الحارث بن هشام عن فراره في يوم بدر وتَرْك أخيه أبي جهل يقتل؛ لأن حسان رضي الله عنه قال فيه:

إِن كُنْــتِ كاذبــةَ الــذي حــدَّثْتِني فَنَجَـوتِ مَنْجَـى الحـارثِ بـن هِـشَامِ
تَــرَكَ الأحِــبَّةَ أنْ يُقَاتِــلَ دُونَهُــمْ وَنَجَــا بِــرأسِ طِــمِرَّةٍ وِلِجَــامِ[1]

٣- الرثـــــاء:

لحسان رضي الله عنه قصائد في رثاء الرسول ﷺ تعبر عن اللوعة والحزن ولكن تلك القصائد لا تصل إلى مستوى الحدث الكبير وهو موت الرسول ﷺ، ومن أجود مراثيــه في الرســول ﷺ قصيدته التي مطلعها:

بطيبةَ رســـمٌ للرســـولِ ومعهــدُ منيرٌ، وقد تعفو الرســـومُ وتَهْمَــدُ

وأيضاً قصيدته التي مطلعها:

ما بالُ عَيْنــكَ لا تَنَــامُ كَأنّمَــا كُحِلَتْ مآقِيْهَا بكُحْــلِ الأرْمَــدَ

وقد رثى حسان أبا بكر وذكر موقفه الذي لا ينسى حين رافق النبي ﷺ في هجرته، وقــد رثى عثمان بمراث محزنة، ومعظم رثاء حسان مشتمل على المواقف الإسلامية الخالدة التي يتحلى بها المرثي.

وقد أحسن حسان في الاعتذار حيث اعتذر لعائشة رضي الله عنها عندما نسب إليه كلام لم يقله، والأبيات التي قالها في الاعتذار تبين لنا أن حسان من المبرزين في هذا الغرض يقول رضي الله عنه:

حَــصَانٌ رزانٌ مــا تُــزَنُّ بِرِيبَــةٍ وتُصْبِحُ غَرْثَى مـن لُحُـومِ الغَوَافِـلِ[2]
فَإِنْ كُنْتُ قد قُلْـتُ الـذي قـد زَعَمْـتُمُ فــلا رَفَعَــتْ سَــوْطي إِلَــيَّ أنَــامِلي
وَكَيْـفَ ووُدِّى مـن قَدِيْــمٍ ونُـصْرَتِى لآل رســـولِ الله زيـــن المَحَافِـــل

هذه هي الأغراض التي طرقها حسان في الجاهلية والإسلام، فمعانيها مختلفة حيث تبرز المعاني الإسلامية في شعره الإسلامي، كما تظهر معاني الجاهلية في شعره الجاهلي.

---

(١) الطمرة: المستفزة للوثب والعدو من أنثى الجياد.

(٢) حصان: عفيفة. رزان: ذات وقار. تزن: تتهم. غرثى: جائعة: أي إنها لا تغتاب النساء.

قصيدة حسان بن ثابت في رثاء الرسول ﷺ

١- بِطِيْبَــةَ رســمٌ للرســولِ ومَعْهَــدُ ... مــنيرٌ وَقَــدَ تعفُــو الرُّســومُ وتَهْمَــدُ

٢- ولا تَنْمحِي الآيـاتُ مـن دارِ حُرْمَـةٍ ... بها مِنْبَـرُ الهـادِي الـذي كَـانَ يَـصْعَدُ

٣- وواضــحُ آيــاتٍ وبــاقي معــالمٍ ... وربــعٌ لــه فيــه مُــصَلّى وَمَــسْجِدُ

٤- بهـا حُجُـرَاتٌ كـان يَنْـزِلُ وَسْـطَهَا ... مِــنَ اللهِ نــورٌ يُسْتَــضَاءُ ويُوقَــدُ

٥- مَعَـالِمُ لم تُطْمَـسْ علـى العَهْـدِ آيُهَـا ... أَتَاهَــا البِلــى فــالآيُ مِنْهَــا تَجَــدَّدُ

٦- عَرَفْـتُ بَهَـا رَسْـمَ الرسـولِ وعَهْـدَهُ ... وقَبْــراً بِــهِ واراهُ في التُّــرْبِ مُلْحِــدُ

٧- ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكي الرسـولَ فأسْـعَدَتْ ... عُيُـونٌ وَمثْلاهَـا مِـنَ الجَفْـنِ تُـسْعِدُ

٨- تَــذَكَّرُ آلاءَ الرَّسُــولِ، وَمَــا أرَى ... لَهَـا مُحْـصِياً نَفْـسي فَنَفْـسي تَبَلّـدُ

٩- مُفَجَّعَــةٌ قَــدْ شَــفَّهَا فَقَــدُ أَحْمَــدٍ ... فَظَلّــتْ لآلاء الرَّسُــولِ تُعَــدِّدُ

١٠- أَطَالَتْ وُقُوفاً تَذْرِفُ العَـيْنُ جُهْـدَهَا ... علـى طَلَـلِ القَبْـرِ الـذي فيـه أَحْمَـدُ

١١- فَبُورِكْتَ يـا قَبْـرَ الرَّسُـولِ وبُورِكَـتْ ... بِـلاَدٌ ثَـوَى فِيْهَـا الرَّشَــيْدُ المُـسَدَّدُ

شرح الأبيات:

(١) طيبة: المدينة المنورة. رسم: أثر باقٍ المعهد: المنزل المعروف. تعفو: تزول. تهمد: تبلى.

إذا كان رسول الله ﷺ قد اختاره الله إلى جواره فإن آثاره باقية في المدينة يحيط بهـا النـور الذي يبيقها واضحة إذا زالت الآثار الأخرى وانطمست.

(٢) الآيات: العلامات. دار الحرمة: ما لا يحل انتهاكه

والآثار معرضة للزوال. ولكن آثار الرسول ﷺ في دار لا يحل انتهاكها وهي المدينة المنـورة حيث تشتمل على المنبر الذي كان مصدر إشعاع وهداية للبشر.

(٣) الربع: المنـزل.

إن العلامات الدالة على مكان إقامته ﷺ واضحة، فمنـزله ومسجده وأماكن صلاته كلها تذكر بما للنبي ﷺ من المنـزلة في نفوس المسلمين.

(٤) إِن طيبة تضم حجرات الرسول ﷺ التي كان يشع منها نور الإِيمان فيهدي الناس إِلى الخير ويبعدهم عن الشر.

(٥) تطمس: تمحى. العهد: المعرفة. البلى: القدم

إِذا كان الموت قد خيم على تلك المعالم حيث دفن الرسول ﷺ فإِن علامات الإِيمان باقية وهي تتجدد يوماً بعد يوم.

(٦) واراه: أخفاه وستره.

لقد عرفت الرسول حياً يرشدنا إِلى الخير، وعرفته ميتاً تعظنا آثاره ورسومه فقبره يذكرنا بما كان يقوله لنا في حياته.

(٧) لقد استولى عليَّ الحزن عندما طفت بالأماكن التي كان يرتادها رسول هذه الأمة فقد انهمرت الدموع من عيني، ومثل عيني تؤاتي بالدموع وتسعف به.

(٨) آلاء: نِعم. تبلد: تتحير.

كيف لا ينهمر الدمع بغزارة على نبي حباه الله من النعم ما لا يعد ولا يحصى، فلو أردت أن أعد تلك النعم لما استطعت لها عداً.

(٩) شفها: يقال شفّه الهم أي أهزله.

إِذا كانت نفسي قد أصابتها الأرزاء، فإِن هذه المصيبة التي حلت بنا أعظم من أيَّ مصيبة ومما يدل على ذلك هذا الهم الذي أهزل جسمي فلم يبق أمامي إِلا أنْ أعدد نعم الرسول ﷺ.

(١٠) تذرف: تسيل الدمع. جهدها: طاقتها أي أكثر ما تستطيع. طلل: هو الشاخص من آثار الديار.

(١١) المسدد: الذي وفقه الله للسداد والصواب.

وإِذا كان لي من دعاء لقبر نبينا وللبلد الذي يضم ذلك القبر فإِنني أطلب من الله أن ينعم على تلك بالخير العميم والبركة الدائمة.

كعب بن زهير

حياتــه:

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، نشأ وعاش في قبيلة غطفـان مـع أبيـه زهـير، ومساكنهم فيما يعرف اليوم بعقلة الصقور وما حولها من الناحية الغربية حتى ضواحي يثرب مـن الناحية الشرقية، وكان كعب يتجول في هذه البلاد مع أخيه بجير ويرعيان أغنامهما، وقد سمعا بأمر الرسول ﷺ، وبينما كعب وأحوه بجير يقيمان في مكان يعرف بأبرق العَزَّاف وهو أقرب موضـع إلى المدينة من بلاد غطفان قال بجير لكعب: اثبت في الغنم حتى آتي هذا الرجل – يعني الـنبي – فأرى ما عنده فثبت كعب، وذهب بجير والتقى بالرسول ﷺ فدخل قلبه الإيمان وأسلم وبقي مـع الرسول و لم يعد إلى كعب، وعندما علم كعب بخبر بجير أرسل إليه هذه الأبيات:

ألا أبلغَـا عنِّـي بُجَيْـراً رسَـالَةً ... فهل لَكَ فيما قلتَ ويحَكَ هل لَكا

سـقاكَ بِهـا المـأمونُ كأسـاً رويَّـةً ... وأنهلَـكَ المـأمونُ منهَـا وعلَّكـا

ففارقْـتَ أسـبابَ الهُـدَى واتّبَعْتَـهُ ... على أيّ شيءٍ – ويْبَ غَيْرِكَ- دَلَّكَا[1]

علـى مذهـبِ لَـمْ تُلـفِ أُمّـاً ولا أبـاً ... عَلَيْـهِ وَلَـمْ تعْـرِفْ عَلَيْـه أَخَالكـاَ

فلما قرأ بجير هذه الأبيات أخبر النبي ﷺ بما جاءه من كعب، فغضب النبي ﷺ وأهدر دمـه وقد رد بجير على كعب بالأبيات التالية:

فمـن مبلـغ كعبـاً فهـل لـكَ في الـتي ... تلـومُ عليهـا بـاطلاً وهـي أحْـزَمُ

إلى الله لا العُـزَّى ولا الّـلاتِ وحْـدّه ... فتنجُـو إذا كَـانَ النَّجـاءُ وتَـسْلمُ

لـدى يـوم لا ينجـوُ ولـيس بمُفلِـتٍ ... مـن النَّـار إلا طـاهرُ القَلْـب مُـسْلمُ

فدينُ زُهـيرٍ – وهو لا شيءَ – باطـلٌ ... وديـنُ أبـي سُـلْمى علـيَّ مُحَـرَّمُ

---

(١) ويب غيرك: هلكت مثل غيرك.

وقال في رسالة بعث بها إليه: إن النبي ﷺ قتل رجالاً ممن آذَوا الإسلام والمسلمين وإني أنصحك بالإسلام، وقد أخبر بجير كعباً بأن الرسول ﷺ يقبل إسلام المرء ولا ينظر إلى ماضيه.

وعندما ضاقت الأرض بكعب أقبل على الرسول ﷺ مسلماً في أول السنة التاسعة من الهجرة، ويقول كعب: عندما وصلت إلى باب المسجد أنخت راحلتي ودخلت المسجد فوجدت الناس حلقات حول الرسول ﷺ فعرفت الرسول بصفته فدنوت منه وقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، الأمان يا رسول الله، قال: من أنت؟ قلت: كعب بن زهير، قال: الذي يقول ما يقول ! ثم عفا الرسول ﷺ عنه، واستأذنه كعب ثم ألقى قصيدته (بانت سعاد) التي مطلعها:

بانَتْ سعادُ فقلبي اليومُ متبولُ مُتَيَّمٌ إِثْرَها لم يُفْدَ مكبولُ

وقد استمع النبي ﷺ إلى قصيدته واستحسنها فخلع عليه بردته، وهي شملة يشتمل بها الرسول ﷺ وقد توفي كعب سنة ٢٦هـ.

شعره:

شعر كعب بن زهير من أجود الشعر فقد جمع بين الطبع والتنقيح، أما الطبع فإنه ينتسب إلى أسرة فيها كثير من الشعراء والشاعرات، فوالده زهير شاعر مشهور، وجده ربيعة بن رياح شاعر، وأخوه بجير شاعر، وابنه عقبة شاعر، وعمته سلمى شاعرة، وعمته الخنساء شاعرة، وقد اعتنى به والده منذ طفولته فعلمه الشعر، ولما رأى والده أنه يرغب في قول الشعر أراد أن يختبره فأخذه على ظهر جمل وبدأ زهير يقول البيت من الشعر ثم يطلب من ابنه كعب أن يأتي ببيت بعده، فلا يلبث كعب أن يأتي بالبيت المطلوب فاطمأن زهير إلى أن ابنه شاعر وأنه يستطيع أن يقول الشعر الجيد.

(أ) شعره في الجاهلية:

اشتُهر كعب في الجاهلية، وعُدَّ من شعرائها المقدمين، وقد قال الشعر في أغراض مختلفة منها: الفخر؛ فقد فخر بشعره وبأصله في مزينة، وقال في الهجاء فقد كان يهجو زيد الخيل، ثم هجا المسلمين، وخص أخاه بجيراً ببعض الهجاء، وقال في الغزل أيضاً، وكان يبدأ به قصائده، والوصف، ووصفه قريب من وصف والده زهير.

والمعاني التي قال فيها شعره في الجاهلية هي المعاني المتداولة بين الشعراء. أما أسلوبه فقد اشتهر بالتنقيح حيث سار على طريقة أبيه في اختيار الألفاظ وجودة سبكها.

(ب) شعره في الإِسلام:

لم يتأثر شعر كعب بن زهير بالإِسلام كثيراً كما تأثر شعر غيره من الصحابة، فقد بقي على طريقته في الجاهلية في اختيار معظم معانيه وفي اختيار ألفاظه، فمن المعروف أن الإِسلام يرقق عواطف الشاعر فيرق شعره وإِذا تتبعنا شعر كعب الإِسلامي وجدناه لا يختلف كثيراً عن شعره الجاهلي إِلا في بعض المعاني الإِسلامية، وقد قال كعب شعره الإِسلامي في الأغراض التالية:

١- المدح:

سبق كعب بن زهير غيره من شعراء الإِسلام بقصيدته (بانت سعاد) التي مدح بها الرسول ﷺ والصحابة، فقد أعجب الرسول ﷺ بمدح كعب فعندما سمع قوله:

إِن الرسول لنورٌ يُستضاء به ... مهندٌ من سيوف الله مسلولُ
في عصبة من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا[1]
زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عند اللقاء ولا ميلٌ معازيل[2]

أشار الرسول ﷺ إلى الناس من حوله أن يستمعوا شعر كعب، وقد خلع النبي ﷺ بردته وأعطاها إياه، وقد اشتهرت هذه القصيدة على امتداد التاريخ الإِسلامي، وهذا يدل على جودة معانيها وقوة أسلوبها مضمونها، ولكعب قصائد في المدح التي قالها بعد إِسلامه ولكنها لا تصل إِلى درجة (بانت سعاد) ومن قصائد المدح التي قالها في الإِسلام قصيدته في مدح الأنصار ومنها:

من سرَّهُ كرمُ الحياة فلا يَزَلْ ... في مَقْنَبٍ من صالحي الأنْصار[3]
الباذلين نفوسَهُمْ لِنَبيِّهم ... عند الهياجِ وَسَطْوَةِ الجَبّارِ

---

(١) العصبة: الجماعة من العشرة إِلى الأربعين. زولوا: هاجروا.

(٢) أنكاس: ضعفاء. الأكشف: من ليس معه ترس. الأعزل من لا رمح معه.

(٣) المقنب: الجماعة من الفرسان دون الألف.

٢- الهجـــاء:

هجاء كعب بن زهير في الإِسلام يبتعد عن السب والتجريح، فهو ينتهج منـــهج التعـــريض ويبتعد عن ذكر الأسماء، وهذا الطريق الذي سلكه في الإِسلام يختلف عن الطريق الذي سار فيه في جاهليته؛ فقد كان هجاؤه في الجاهلية قاسياً وصريحاً.

ومن تلطفه في الهجاء وابتعاده عن ذكر الأسماء وعن السب الصريح قوله:

إِنْ كُنْـــتَ لا تَرْهَـــبُ ذمِّـــي لمـــا تَعْـرفُ مـن صَـفْحي عـن الجاهـلِ
فاخْـــشَ ســـكوتي إِذْ أَنـا مُنْـصِتٌ فيـــكَ لِمَـــسْمُوعِ خَنَـا القِـــائِلِ

٣- الحكم والمواعظ:

ليس غريباً على كعب بن زهير أن يتقدم على غيره في هذا الغرض، فوالده زهير جعل آخـــر معلقته حكماً متوالية، وحكم كعب تختلف عن حكم والده فهي حكم ومواعظ وجّـــه الإِســـلام معظمها فتحولت إلى عظات ترقق القلوب. فمن حكمه قوله:

كُـلُّ ابـنِ أُنثـى وإِنْ طَالَـتْ سَـلاَمَتُهُ يومـاً علـى آلَـةٍ حَـدْبَاءَ مَحْمُـولُ

ومن الحكم التي تعظ القلوب:

لو كُنْتُ أعجـبُ مـن شـيءٍ لأعجـبني سـعيَ الفـتي وهـو مخبـوءٌ لـه القَـدَرُ
يـسعى الفَتـى لأمـور لـيس يُـدْركها فـالنفسُ واحـدةٌ والهـم مُنْتَـشرُ
والمـرءُ مـا عـاش ممـدودٌ لـه أمـلٌ لا تَنْتَهـي العـينُ حتـى يَنْتهِـي الأثَـرُ

وقوله:

والـــسَامعُ الـــذَّامِّ شَـــريكٌ لَـــهُ ومُطْعِـــمُ المـــأكُولَ كالآكـــلِ
مقالَـــةُ الـــسُّوء إِلى أهْلِهـــا أســـرعُ مـــن مُنْحـــدِرٍ سَـــائلِ
ومـــن دعـــا النـــاسَ إِلى ذَمِّـــهِ ذَمُّـــوهُ بالحـــقِّ وبالباطِـــلِ

قصيدة كعب بن زهير في مدح الأنصار

١- مـن سَـرَّهُ كـرمُ الحيـاةِ فـلا يَـزَلْ ... في مقْنَـبٍ مـن صَـالِحي الأنْـصَارِ

٢- تَـزِنُ الجِبَـالَ رَزَانَـةً أحْلاَمُهُـمْ ... وَأَكُفُّهُـمْ خَلَـفٌ مِـنَ الأمْطَـارِ

٣- المُكْـرِهينَ الـسمْهَرِيَّ بـإِذْرُعٍ ... كَـصَواقِلِ الهِنـدِيِّ غَيْـرِ قِـصَارِ

٤- والنـاظرينَ بِـأَعْيُنٍ مُحْمَـرَّةٍ ... كـالجَمْرِ غَيْـرِ كَلِيلَـةِ الأبْـصَارِ

٥- والذَّائـدينَ النّـاسَ عَـنْ أدْيَـانِهِمْ ... بالمَـشْرفيِّ وبالقَنـا الخَطَّـارِ

٦- والبـاذلينَ نُفُوسَـهُمْ لِنَبِـيِّهِمْ ... يَـوْمَ الهيَـاجِ وَسَـطْوَةِ الجَبّـارِ

٧- دَرِبـوا كَمـا دَرِبَـتْ أسـودُ خَفِيَّـةٍ ... غُلْبُ الرِّقابِ مِـنَ الأُسُـودِ ضَـوَارِي

٨- وهُـمُ إِذَا خَـوَتِ النُجُـومُ فَـإِنَّهُمْ ... للطـائِفينَ الـسّائِلينَ مقـارِي

٩- المُطعِمُـونَ الـضَّيفِ حـين يَنَـوبهمْ ... مـن لَحْـمِ كـومٍ كالهِـضَابِ عِـشَارِ

١٠- والمُنعـمُونَ المُفْـضِلوُنَ إِذَا شَـتَوْا ... والـضَّارِبُونَ عِـلاَوَةَ الجَبّـارِ

مناسبة القصيدة:

عندما أهدر النبي ﷺ دم كعب بن زهير في الفترة التي كان يسب فيها الإسلام والمسلمين كان الأنصار هم الذين يبحثون عنه حتى ضيقوا عليه، وبعد أن هداه الله للإسلام وقال قصيدته المشهورة في مدح الرسول والمهاجرين لم يذكر الأنصار في تلك القصيدة بل عرض بهم في قوله:

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ... ضرب إذا عرَّدَ السود التنابيل (١)

وقد استاء الأنصار من ذلك، واستاء المهاجرون وقالوا إن مدحاً لا يشمل إخواننا الأنصار إنما هو ناقص، وقد سمع كعب بن زهير ذلك الحديث فعزم على إنشاء هذه القصيدة.

---

(١) الزهر: البيض. يعصمهم: يمنعهم. عرّد: فر وأعرض. التنابل: جمع تنبال وهو القصير.

شـــرح الأبيـــات:

(١) المقنب: ما دون الألف من الفرسان..

من أراد أن يتمتع بالحياة الكريمة فليكن في مجموعة صالحة من الأنصار تحميه عنـــد الحاجـــة وتشد عضده.

(٢) إن عقول الأنصار تعادل الجبال في كبرها وعظمها، وهم كرماء فأيديهم خلف من المطـــر؛ لأنها تجود بالمال والعطاء الكثير عندما تقل الأمطار ويصيب الناس القحط والجدب.

(٣) السمهري: الرمح القوي. وسمهر اسم رجل تنسب له الرماح وكان يبيع الرماح القويـــة في الخط (القطيف). صواقل الهندي: السيوف.

إن أولئك الرجال يحملون الرماح القوية بأذرع تكرهها على الطعن وتدفعها إليه لأن تلـــك تشبه سيوف الهند وهي طويلة تساعد على دفع الرمح بقوة.

(٤) الكليلة: ضعيفة النظر.

إنهم ينظرون إلى أعدائهم بأعين تشبه الجمر المتوقد من شدة الغيظ وشهوة اللقـــاء، وتلـــك الأعين حادة البصر غير ضعيفة.

(٥) المشرفي: المشرفية السيوف المنسوبة إلى المشارف وهي قرى في أطراف الريف من جهة البادية سواء كانت في الشام أو في اليمن. الخطار: الذي إذا هز تتابعـــت أجـــزاؤه في اضـــطراب منتظم.

لقد جاهد الأنصار في سبيل الله وقاتلوا العرب حتى دخلوا في دين الإسلام.

(٦) الهياج: الحرب. السطوة: القهر والبطش.

والأنصار لا يبخلون بنفوسهم وإنما يبذلونها في سبيل طاعة الرسول ﷺ عندما يأمرهم بحرب أعداء الإسلام الذين يحاولون قهر المسلمين والبطش بهم.

(٧) دربوا: اعتادوا. خفية: موضع في اليمامة تكثر به الأسود. غلب الرقاب: غلظ الرقاب، ضواري: معتادة.

إن اعتياد الأنصار على خوض الحروب يشبه اعتياد أسود "خفية" على أكل اللحوم والافتراس.

(٨) خوت النجوم: لم ينزل فيها مطر. مقاري: يقرون الناس أي يكرمونهم.

الأنصار يبذلون أموالهم في زمن الشدة وتوقف الأمطار؛ فهم يقرون السائل والطائف بهم فيجعلون أولئك ينزلون بساحتهم.

(٩) ينوبهم: يأتيهم. الكوم: جمع كوماء وهي العظيمة السنام. العشراء: التي أمضت عشرة أشهر من حملها..

والأنصار كرام فهم ينحرون الإبل العشار ذوات الأسنمة العظيمة عندما يحل بساحتهم الضيف.

(١٠) العلاوة: العنق.

إن الأنصار يشتهرون بالكرم في وقت الشدة وهو الشتاء، ويشتهرون بضرب عنق الجبار في المعارك، فهم يجمعون بين الكرم والشجاعة.

مناقشـــــــة

١- وازن بين مدح حسان بن ثابت في الجاهلية ومدحه في الإِسلام.

٢- لماذا كان هجاء حسان لقريش أشد من هجاء غيره واستشهد علـــى ذلـــك بشيء من شعره.

٣- كيف تم إِسلام كعب بن زهير؟

٤- تحدث عن قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) مبيناً سبب شهرتها.

٥- اذكر بعضاً من أبيات كعب بن زهير في الحكمة.

النثر في عصر صدر الإسلام

النثر الأدبي في عصر صدر الإسلام يتمثل في الخطابة والرسائل، وإذا كان القصد من النثر الأدبي هو التأثير وإثارة العواطف، فإن الخطبة والرسالة لهما الأثر الكبير في إثارة العواطف ومن ثَمَّ التأثير في الناس، على أن الخطبة تؤثر في الناس أكثر من تأثير الرسالة.

الخطابة

الرسول ﷺ معدود من فصحاء العرب وبلغائهم قبل البعثة، وعندما بعث أخذ يدعو الناس إلى عبادة الله ونبذ الشرك، وكانت الخطابة هي الوسيلة التي توصل تعاليم الإسلام إلى قريش خاصة ثم إلى العرب عامة. وقد كانت خطب الرسول ﷺ في مكة قبل أن يهاجر إلى المدينة من أقوى الخطب التي يسمعها العرب، ولولا تأثير تلك الخطب في قريش ثم في العرب القادمين للحج لما حدثت الخصومة بين النبي ﷺ وأهل مكة.

ومن خطبه ﷺ في مكة خطبته في قريش عندما نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ (الشعراء، آية: ٢١٤) فقد جمع قريشاً وخطب فيهم، ومن تلك الخطبة: "إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم حقاً وإلى الناس كافة".

وعندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة أصبحت خطبه توضح التشريع الإسلامي. وقد شرع الإسلام خطبة الجمعة والعيدين وخطبة الحج.

أما الخطب التي تقال في المناسبات فهي قوية ومؤثرة، ومن تلك الخطب خطبة أبي بكر في يوم السقيفة، وخطبة عمر يوم تولى الخلافة، ولعلي ابن أبي طالب خطب بليغة في مناسبات كثيرة.

والخطابة في العصر الإسلامي تختلف عن خطب الجاهلية؛ فالخطبة الجاهلية تعتمد على السجع في أسلوبها، أما الخطبة في الإسلام فتتميز بسهولة الأسلوب، وضوح المعنى، وهي تستقي معانيها من القرآن والحديث.

ومن عادة الخطيب أن يخطب واقفاً، ويكون ذلك فوق منبر أو مرتفع من الأرض، ويعتمد على عصا. ولا يتصدى للخطبة إلا رجل عرف ببلاغته وقوة تأثيره، ولذلك نجد الخطب الإسلامية تؤثر في الناس أكثر من تأثير الشعر، بعكس ما كان سائداً في العصر الجاهلي فإن الشاعر يؤثر أكثر من الخطيب.

نماذج من الخطابة

١- من خطبة النبي ﷺ بالخيف في منى:

روي زيد بن ثابت: أن النبي ﷺ خطب بالخيف من منى فقال: " نَضَّرَ الله عبداً سَمِعَ مقالتي فوعاها، ثم أدَّاها إلى من لم يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. ثلاث لا يُغِلُّ عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأولي الأمر، ولزوم الجماعة. إن دعوتهم تكون من ورائه. ومن كان همه الآخرة: جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كان همه الدنيا: فرق الله أمره وجعل فقره بين عينيه، و لم يأته من الدنيا إلا ما كتب له"[١].

٢- خطبة أبي بكر رضي الله عنه يوم تولى الخلافة:

" أما بعد، فإني وَليتُ أمركم ولست بخيركم، ولَكِنْ نزل القرآن وسنَّ النبيُّ ﷺ وعَلَّمَنا فَعَلِمْنَا.

واعلموا أن أكْيَسَ الكيْسِ التُّقَى[٢]، وأن أحمقَ الحُمْقِ الفُجور، وأن أقواكم عندي الضعيفُ

(١) إعجاز القرآن ١٣٢.

(٢) الكيس: الفطنة والذكاء.

حتى آخذ له بحقه، وأن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق.

أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينوني وإن زُغْتُ[1] فَقَوِّموني. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم"[2].

٣- من خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم تولى الخلافة:

"اقرؤوا القرآن تُعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، إنه لم يبلغ حقُّ ذي حقٍّ يطاع في معصية الله ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والي اليتيم: إن استغنيتُ عَفَفْتُ، وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروف، تَقَرُّمَ البَهْمَةِ الأعرابية: القَضْمَ لا الخَضْمَ"[3].

٤- خطبة عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه حينما أغارت جيوش معاوية على أطراف العراق وذلك بعد التحكيم

" أيها الناس المجتمعةُ أبدانُهم، المختلفةُ أَهواؤكُمْ، كلامكم يُوهي الصُّمَّ الصِّلاَب[4]، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء، تقولون في المجالس: كيت وكيت[5]، فإذا جاء القتالُ قلتم حِيدي حَيَادِ[6]، ما عزَّت دعوةُ من دعاكم ولا استراح قلبُ من قاساكم، أعاليلُ بأضاليل! سألتموني التأخير دِفاع ذي الدَّيْن المطُول، هيهاتَ لا يمنَعُ الضَّيْم الذليلُ، ولا يُدْرَكُ الحقُّ إلا بالجد، أيُّ دار بعد داركم تمنعون، أم مع أيِّ إمامٍ بعدي تقاتلون؟ المغرور والله من غَرَرْتُمُوهُ ومن فاز بكم فقد فاز بالسّهْم الأخْيَب، ومن رمى بكم فقد رمى بأفْوَقَ ناصل[7]، أصبحت والله لا أصدق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أوعد العدو بكم، ما بالكم! القوم رجال أمثالكم، أقوالاً بغير علم، وغفلة من غير

---

(١) الزيغ: العدول عن طريق الحق.

(٢) عيون الأخبار ٢/٢٣٤.

(٣) تقرم: أكل أكلاً ضعيفاً. القضم: الأكل بأطراف الأسنان. الخضم: الأكل بأقصى الأضراس. والخطبة في عيون الأخبار ٢/٢٣٤.

(٤) يوهي: يضعف. الصم الصلاب: الحجارة الصلبة القوية.

(٥) كيت وكيت: كذا وكذا.

(٦) حيدي حياد: كلمة يقولها الفار من القتال.

(٧) أفوق ناصل: سهم كسر أعلاه أي لا نصل فيه. والخطبة في البيان والتبين ٢/٥٤.

ورع، وطمعاً في غير حق؟ فرق الله بيني وبينكم وأعقبني بكم من هو خير لي منكم".

٥- خطبة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

" أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العُرَى كلمة التقوى، خير المِلَل ملةُ إبراهيم، وأحسن السُّنن سنة النبي محمد ﷺ، خير الأمور أوسطها، وشر الأمور محدثاتها، ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، خير الغنى غنى النفس، وخير ما أُلقى في القلب اليقين، الخمر جمَاع الإثم، النساء حبَالَةُ الشيطان[١]، الشباب شعبة من الجنون، حب الكفاية مفتاح المعْجَزَة[٢]، من الناس من لا يأتي الجماعة إلا دُبُراً ولا يذكر الله إلا هُجْرا[٣]، أعظم الخطايا اللسان الكذوب، سباب المؤمن فسق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية، من يَتَأَلَّ على الله يُكْذبْهُ[٤] من يَغْفِرْ يُغْفَرْ له. مكتوب في ديوان المحسنين: من عفا عُفِيَ عنه، الشقي من شقي في بطن أُمه، والسعيد من وُعظ بغيره، الأمور بعواقبها، ملاك العمل خواتيمه، أشرف الموت الشهادة، من يعرف البلاءَ يصبرْ عليه، ومن لا يعرف البلاء يُنْكِرْه ".

---

(١) الحبالة: التي يصاد بها.

(٢) المعجزة: العجز.

(٣) الهجر: هجران القلب وترك الإخلاص في الذكر.

(٤) من يتأل على الله: أي من يحكم على فلان بدخول الجنة أو النار. والخطبة في إعجاز القرآن ١٤٧ والبيان والتبيين ٥٦/٢.

الرسائـل

كانت الكتابة معروفة في مكة قبل بعثة الرسول ﷺ ولكنها قليلة جداً، وعندما نزل القـــرآن الكريم حث على الكتابة فقد قال الله تعـــالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾[1].

والكتابة الفنية في عهد الرسول ﷺ تنحصر في كتابة الرسائل، وكتابـــة الرســـائل امتـــداد للحديث العادي ولذلك نجد الرسائل تخلو من التكلف فهي سهلة العبارة خاليـــة مـــن عبـــارات التفخيم تنصب على الغرض الذي أنشئت من أجله، وهي تبتدئ عادة بـــ (من عبد الله فلان إلى فلان أما بعد).

وتشمل الرسائل في عهد الرسول ﷺ: الرسائل إلى الملوك والأمراء، والرســـائل إلى عمـــال الدولة، بالإضافة إلى الرسائل الشخصية، وفي عهد الخلفاء الراشدين كانت الرسائل ترســـل مـــن الخليفة إلى الأمراء والقواد والقضاة. وكانت الرسائل تشتمل على وصايا وتعليمات كما أنها تشمل ما يُوجَّه إلى عامة المسلمين، وطريقة كتابة الرسالة في زمن الخلفاء الراشدين لم تختلف عما كانت عليه في زمن الرسول ﷺ إلا بنوع من الإطناب، كما نجد في رسائل عمر أو رسائل عليّ رضـــي الله عنهما.

نماذج من الرسائل

رسالة النبي ﷺ إلى ملك فارس:

"من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس:

سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا أله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله تعالى، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. فأَسْلِمْ تَسْلَمْ"[2].

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢.

(٢) إعجاز القرآن ١٣٤.

رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي:

" من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة"

سلْمٌ أنت فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البَتُول[1] الطيبة، فحملت بعيسى فحملته من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه.

وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، وإني أدعوك وجنودك إلى الله تعالى، فقد بَلَغْتُ ونصحت، فاقبلوا نصحي، والسلام على من اتبع الهدى"[2].

رسالة أبي عبيدة الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم:

"سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد فإنا عهدناك وأمر نفسك لك مُهِمٌّ، فأصبحت وقد وُلِّيتَ أمر هذه الأمة أَحمَرِهَا وأَسْوَدِها، يجلس بين يديك الصديق والعدو والشريف والوضيع ولكل حصته من العدل، فانظر كيف أنت يا عمر عند ذلك فإنا نحذرك يوماً تعنو فيه الوجوه، وتجب[3] فيه القلوب. وإنا كنّا نتحدث أن أمر هذه الأمة يرجع في آخر زمانها: أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة، وإنا نعوذ بالله أن تُنْزِلَ كتابنا سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا، فإنا إنما كتبنا إليك نصيحة لك، والسلام"[4].

كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما في القضاء:

"من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس: سلام عليك.

---

(١) البتل: القطع وسميت مريم البتول لأنها قطعت عن الرجال.

(٢) إعجاز القرآن ١٣٤.

(٣) وجب القلب: خفق واضطرب.

(٤) إعجاز القرآن ١٣٩.

أما بعد. فإن القضاءَ فريضةٌ محكمة وسنةٌ متبعة، فافهم إذا أُدْلِي إليك، فإنه لا ينفعُ تكَلُّمٌ بحق لانفاذَ له.

آس بين الناس في وجهِك وعدلِك ومجلِسِك، حتى لا يطمعَ شريفٌ في حَيْفِك، ولا ييأسَ ضعيفٌ من عدلك[1].

البَيِّنةُ على من ادَّعى واليمينُ على من أنكر، والصلحُ جائزٌ بين المسلمين إلا صلحاً أَحلَّ حراماً أو حرم حلالاً. ولا يمنعك قضاءً قضيتَه بالأمس – فراجعت فيه عقلك، وهديت لرشدك – أن ترجع إلى الحق، فإن الحقَ قديمٌ ومراجعةً الحقِّ خيرٌ من التمادي في الباطل.

الفَهْمَ الفَهْم، فيما تَلَجْلَجَ في صدرك[2] مما ليس في كتاب ولا سنة، ثم اعرف الأشباهَ والأمثال، وقِسِ الأمورَ عند ذلك واعمِد إلى أشبهها بالحق.

واجعل لمن ادَّعى حقاً غائباً أو بينةً أمداً ينتهي إليه، فإن أحضَرَ بينةً أخذتَ له بحقه، وإلا استحللتَ عليه القضية فإنه أنفى للشك وأجلى لِلْعَمَى[3].

المسلمون عُدول بعضُهُم على بعض، إلا مَجْلُوداً في حدٍّ، أو مجرَّباً عليه شهادةُ زور، أو ظنِيناً في ولاءٍ أو نسب[4]، فإن الله تولّى منكم السرائرَ ودرَأَ بالأيمان والبيِّنات[5].

وإياك والغَلقَ والضَّجَرَ[6] والتأذِّي بالخصوم، والتنكُّر عند الخصومات، فإن الحقَ في مواطن الحق يُعْظِمُ الله به الأجر، ويحسنُ به الذُّخْر، فمن صحَّتْ نيتُه وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تخلَّقَ للناس بما يعلمُ الله أنه ليس من نفسه شانَهُ الله، فما ظنك بثوابِ الله عز وجل في عاجل رزقِه وخزائنِ رحمتِه. والسلام ".

---

(١) آس بين الناس...: أي سو بين المتخاصمين في بشاشة وجهك وعدلك.

(٢) تلجلج: تردد.

(٣) أجلى للعمى: أوضح للأمر المبهم.

(٤) الظنين: المتهم.

(٥) درأ: دفع.

(٦) الغلق: شيق الصدر. الضجر: قلة الصبر.

مناقشـــــــة

١- تحدث عن أهمية الخطابة في عصر صدر الإِسلام.

٢- تحدث عن الرسائل في هذا العصر، واذكر أهم ما يميزها.

الأدب في العصر الأموي

يبتدئ العصر الأموي بخلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة ٤١هـ بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما له عن الخلافة، وينتهي بمقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية سنة ١٣٢هـ وقيام الدولة العباسية.

وفي هذا العصر ازدهرت اللغة والأدب، فاتسعت مدلولات اللغة ودخلتها مصطلحات جديدة بسبب اتساع الدولة الإسلامية وكثرة احتياجاتها.

وسنتحدث فيما يلي عن الشعر والنثر وتطورهما في هذا العصر

الشعر

ازدهر الشعر في العصر الأموي، وتفتّقت سوقه بسبب إجزال الأمويين العطاء للشعراء، وشيوع العصبية القبلية، كما كان لقيام الطوائف السياسية من شيعة وخوارج وزبيريين أثره الكبير في الأدب؛ فلقد كان لهذه الطوائف شعراء وخطباء ينافحون عنها، ويمدحون زعماءها، ويهجون مناوئيها، مما دفع بعجلة الأدب إلى الأمام.

أغراض الشعر

حافظ الشعراء على أغراض الشعر القديمة من مدح وفخر وهجاء ورثاء وغزل ووصف، وإن تأثرت هذه الأغراض بحضارة العصر الأموي التي تختلف عن العصر الجاهلي.

وقد جدت أغراض جديدة لم تكن معروفة في العصر الجاهلي، ومن تلك الأغراض: الشعر السياسي والغزل العذري وأنواع من الوصف، مثل وصف البلاد المفتوحة وما فيها من أنهار وقصور وحدائق ومعابد، وبما أن الأغراض الشعرية في هذا العصر كثيرة ومتعددة فإننا سنتناول بعض هذه الأغراض.

الشعر السياسي:

عندما اندلعت الفتنة في زمن عثمان كانت إيذاناً باستمرار النـــزاع بين المسلمين، فقد قـــام معاوية يطالب بدم عثمان، وقد اختار المسلمون علياً خليفة للمسلمين ولكن خلافته لم تدم طويلاً بسبب النـــزاع بينه وبين معاوية رضي الله عنهما، وقد أدى ذلك النـــزاع إلى التحكيم الذي برز بسببه الخوارج، وبعد مقتل علي رضي الله عنه تولى الخلافـــة ابنه الحســـن، ثم تنازل لمعـــــاوية حقناً لدماء المسلمين.

وقد استاء أنصار علي من الحكم الأموي، وبرز الشيعة الذين يرون أن علياً وبنيه هم الأحق بالخلافة، ولكن الشيعة لم يستطيعوا مصارعة الأمويين، كما قام عبد الله بن الزبير الذي لم يبـــايع ليزيد بن معاوية، ودعا لنفسه بالخلافة، فبايعه كثير من المسلمين، وقوي نفوذه وتوالت انتصاراته، إلى أن قُضي عليه في عهد عبد الملك بن مروان.

هذه الاتجاهات واكبها الشعر فكان لسانها الناطق الذي يذود عنـــها ويهـــاجم أعـــداءها، فالأمويون هم أصحاب الدولة، ولذا كان أكثر ألسن الشعراء معهم. ومن أبرز الـــشعراء الـــذين يدافعون عن الأمويين الأخطل فهو يقول فيهم:

حُشْدٌ على الحـقِّ عيـافُوا الخَنَـا أُنُـفٌ ... إِذَا أَلَمَّـتْ بهـم مكروهـةٌ صـبرُوا[1]

وإِنْ تَـدَجَّتْ علـى الآفـاق مُظْلِمَـةٌ ... كـان لهـم مخـرجٌ منهـا ومُعْتَـصَرُ[2]

شُـمْسُ العـدَاوَةِ حتـى يُـسْتَقَادَ لَهُـمْ ... وأعظـمُ النّـاسِ أحلامـاً إِذَا قَـدَروا[3]

والشيعة لَهُمْ شُعراؤهم، ومن أبرزهم الكميت بن زيد الأسدي الذي يقول في بني هاشم:

بَـــنِي هَاشِـــمٍ رَهْـــطَ الـــنَّبِي فَـــإِنَّنِي ... بِهِـمْ ولَهُـمْ أَرْضـى مِـرَاراً وأَغْـضَبُ

خَفَـضْتُ لهـم مِـنِّي جَنَـاحَيْ مَـوَدَّةٍ ... إِلى كَنَـفِ عِطْفَـاهُ أَهْـلٌ ومَرْحَـبُ

---

(١) حشد على الحق: يحشدون جنودهم دفاعاً عن الحق. الخنا: الفحشاء.

(٢) تدجت: أظلمت. المعتصر: الملجأ.

(٣) شمس: جمع شموس أي عسير، ومعنى "شمس العداوة حتى يستقاد لهم": أي أنهم ينكلون بأعدائهم ماداموا يثورون عليهم ويعصونهم.

وكنتُ لَهُمْ من هؤلاءِ وهؤلا ... مجِنَّاً على أني أُذَمُّ وأُقْصَبُ[1]
وأُرْمَى بالعَدَاوَةِ أَهْلَهَا ... وَإِني لأُودّى فيهمُ وأؤنَّبُ

والخوارج فئات كثيرة ولهم شعراؤهم، وقد ناصبوا الدولة الأموية العداوة.

وقد أشاد شعراء الزبيريين بانتصارات مصعب بن الزبير في العراق، ومن أبرز شعراء الزبيريين عبيد الله بن قيس الرقيات الذي يقول في مصعب:

إِنَمَا مُصْعَبٌ شِهَاب من الله ... تَجَلَّتْ عن وجهِهِ الظّلْمَاءُ
مُلْكُهُ مُلكُ عِزَّةٍ ليس فيه ... جبروتٌ ولا به كِبْرِيَاءُ

المدح:

اهتم الخلفاء والأمراء بتأييد الشعر لأن الشعر يهيمن على النفوس ويتناقله الناس بيسر وسهولة، فلا تجد مجلساً من المجالس إلا ويذكر فيه الشعر، وبنو أمية يعرفون سلطان الشعر على نفوس العرب، وهم في أمَسِّ الحاجة إلى الإشادة بهم وتأييدهم أمام خصومهم الكثيرين من شيعة وخوارج وزبيريين.

والمدح في العصر الأموي لم يقتصر على بني أمية وقوادهم ولكن المديح الذي قيل في هؤلاء يمثل نسبة عالية من المديح الذي قيل في العصر الأموي، وشعر المدح يقال عادة في الخليفة والأمراء والقواد.

ومن أشهر شعراء المدح في هذا العصر: الأخطل وجرير والفرزدق وذو الرمة ونُصيب[2] وليلى الأَخْيَلِيَّة[3] وأبو نخيلة[4] وزياد الأعجم[5]. والمعاني التي قال فيها هؤلاء الشعراء مديحهم لا

---

(١) أقصب: أشتم.

(٢) هو نصيب بن رباح من شعراء الدولة الأموية توفي سنة ١٠٨هـ.

(٣) شاعرة أموية توفيت سنة ٨٠هـ.

(٤) أبو نخيلة شاعر أموي وهذا هو اسمه فهو أبو نخيلة بن حزن من بني حمان من تميم امتد به العمر حتى قيام الدولة العباسية حيث قتل سنة ١٤٥هـ.

(٥) زياد الأعجم: هو زياد بن سليمان الأعجم من موالي عبد القيس وسمي بالأعجم؛ لأنه في لسانه عجمة، نشأ في أصفهان، وعاش في خراسان حيث توفي بها سنة ١٠٠هـ.

تختلف كثيراً عن معاني المدح في العصر الجاهلي من شجاعة وكرم ووفاء وحلم ونجدة ومروءة ونبل.

ومن أبيات المدح التي تجمع كثيراً من المعاني الآنفة الذكر قول زياد الأعجم في عبد الله بن الحشرج الجعدي:

إن السماحة والمروءةَ والنّدى ... في قُبّةٍ ضُرِبَتْ على ابْنِ الحَشْرَجِ

مِلكٌ أَغَرُّ مُتَوَّجٌ ذو نائِلٍ ... لِلْمُعْتَفِيْنَ يمينُهُ لم تَشْنَجِ[1]

لما أتيتُكَ راجياً لنوالكُمْ ... أَلْفَيْتُ بابَ نوالكُمْ لم يُرْتَجِ

ويشمل المدح المعاني الإِسلامية ولكنها قليلة إِذّا قيست بالمعاني المتوارثة منذ العصر الجاهلى.

الهجاء:

لما قامت الدولة الأموية على أساس التعصب لبني أمية كان ذلك إيذاناً بفتح الباب على مصراعيه لتعصب العرب لقبائلهم، وبعث ما كانت تعتز به القبائل وتقلل من شأن خصومها التقليديين في الجاهلية، وهذا باب سده الإِسلام في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين.

فالهجاء في العصر الأموي امتداد للهجاء في العصر الجاهلي، فالأصل فيه التقليل من شأن المهجو وإلحاق النقائص به سواء كان فرداً أو قبيلة.

والشعراء الهجاؤون في هذا العصر كثيرون منهم جرير، والفرزدق، وثابت قطنة[2] وغيرهم.

النقائض:

النقائض قصائد ينقض بعضها بعضاً؛ وذلك بأن يقول شاعر قصيدة يفتخر فيها بنفسه وقبيلته ويُعرِّض بشاعر آخر أو يهجو قبيلة ذلك الشاعر، فإِذا سمع الشاعر المهجو تلك القصيدة نقضها أي: نقض معانيها بالرد عليها وفضح أكاذيبها. ولابد من اتفاق القصيدتين البادئة بالهجاء

---

(١) المعتفون: الطالبون العطاء. تشنج: تنقبض.

(٢) هو: ثابت بن كعب بن جابر العتكي من الأزد شهد كثيراً من الوقائع في خرسان.

والمنقوضة في: البحر، والقافية.

وقد عرفت النقائض في العصر الجاهلي، ثم توسع فيها شعراء مكة والمدينة قبل فتح مكة، وفي العصر الأموي ازدهر شعر النقائض، لوجود مسرح دائم للشعر وهو (سوق المرْبَد) في البصرة، الذي اتخذه شعراء النقائض مكاناً لإلقاء القصائد التي تلحق العار والخزي بالقبيلة المهجوة أو بشاعر تلك القبيلة، ويجد الشاعر في جمهور ذلك السوق خير معين له على التشهير بخصمه. وقد تحولت قصائد النقائض بشعرائها وجمهورها إلى نوع من أنواع التسلية في ذلك السوق الذي تحتشد فيه جموع غفيرة من القبائل العربية.

ومن أشهر شعراء النقائض في العصر الأموي: جرير، والفرزدق، والأخطل، والبعيث المجاشعي، والراعي النميري، ولكن أشهر هؤلاء جرير الذي اشتهر بنقائضه مع الفرزدق والأخطل وغيرهما من شعراء النقائض في عصره.

وأشهر نقائض عرفت في العصر الأموي هي ما كان بين جرير والفرزدق، وقد استمرت النقائض بينهما خمسة وأربعين عاماً، ثم النقائض بين جرير والأخطل وقد استمرت بينهما تسعة عشر عاماً، وأما النقائض بين جرير وسائر الشعراء فهي كثيرة. ونورد هنا بعض الأبيات لأشهر قصيدتين في النقائض بين الفرزدق وجرير، قال الفرزدق:

فما أنت من قيس فتنبحَ دونها ... ولا من تميمٍ في الرؤوسِ الأعاظِم
وهل يابنَ ثَفْرِ الكلب مثلُ سيوفِنا ... سيوفٌ ولا قِبْصُ العَديْدِ القُمَاقِم[1]
فلو كنتَ منهم لم تعبْ مِدْحَتِي لهم ... ولكنْ حِمَارٌ وشيهُ بالقَوَائِم
فَيَاعَجباً حتى كُليبٌ تَسُبُّني ... وكانت كليبٌ مَدْرَجاً لِلْمَشَاتِم[2]

(١) ثفر الكلب: فرج الكلب. قبص: العدد الكثير. القماقم: السيد الكثير الخير.

(٢) كليب: قبيلة جرير. ومعنى الشطر الثاني: أن من أراد شتمها وجد فيها مشتماً.

وقد نقض جرير قصيدة الفرزدق بقصيدة منها:

لَقَــدْ وَلَــدَتْ أُمُ الفــرزدقِ فــاجراً ... وجــاءت بــوزوارٍ قــصير القــوائم[1]

ومــا كــان جــارٌ للفــرزدق مُــسْلِمٌ ... ليــأمن قِــرْداً ليلُــهُ غــيرُ نــائِم

يُوَصِّــلُ حَبْلَيْــهِ إذا جَــنَّ ليلُــهُ ... لِيَرْقَــى إلى جَارَاتِــهِ بالــسلالِم

وإنِّي وقَيْــساً يــا ابــن قَــيْنِ مُجَاشِــعٍ ... كــريمٌ أُصَــفِّي مِدْحَتــي للأكَــارِمِ[2]

ومن نقائض الأخطل وجرير قول الأخطل في جرير:

إخْــسَأْ إلَيْــكَ كُلَيــبُ إنَّ مُجَاشِــعاً ... وأبــا الفــوارس نَهْــشَلاً أَخَــوان

وإذا وردْتَ المــاء كــان لِــدارِمٍ ... جُمَّاتُــهُ وسُــهُولَةُ الأَعْطَــان[3]

وإذَا قذفــتَ أبــاكَ فــي ميــزانِهِمْ ... رَجَحُــوا وشــالَ أبــوكَ في المِيــزَانِ[4]

وقد نقضها جرير بقوله:

يــادَا العَبَــاءةِ إنَّ بِــشْراً قَــدْ قَــضَى ... أَلاَّ تَجُــوزَ حُكُومــةُ النَّــشْوَانِ[5]

فَــدَعُوا الحُكُومَــةَ لَــسْتُمُ مــن أَهْلِهَــا ... إنَّ الحُكُومَــةَ في بَــنِي شَــيْبَانِ[6]

قَــتَلُوا كُلَيْبَكُــمُ بِلقحَــةِ جَــارِهِمْ ... يــا خُــزْرَ تَغْلِــبَ لَــسْتُمُ بِهِجــانِ[7]

شعر الفتوح والدعوة الإسلامية:

شعر الفتوح والدعوة الإسلامية في العصر الأموي امتداد لشعر الدعوة والفتح الإســلامي في عصر صدر الإسلام، فالدعوة إلى الله مستمرة، والجهاد في سبيل الله حمل لواءه الصحابة والتابعون

---

(١) الوزواز: الخفيف على الأرض.

(٢) قيس: قبيلة مضرية. القين: العبد. مجاشع: قبيلة الفرزدق.

(٣) الجمة: مجتمع الماء ومعظمه. الأعطان: مناخ الإبل حول الحوض.

(٤) شال الميزان: ارتفعت إحدى كفتيه.

(٥) ذو العباءة: الأخطل لأنه يلبسها. وبشر: هو بشر بن مروان.

(٦) بنو شيبان: هم بنو شيبان بن ذهل من بكر بن وائل.

(٧) كليب: هو كليب بن ربيعة. اللقحة: الناقة الحلوب. خزر: جمع أخزر وهو الأحول. الهجان: البيض الكرام.

وتبعهم سلفهم في العصر الأموي، إلا أن الجهاد يفتر في زمن الفتن التي تحدث بين المسلمين ثم يعود قوياً ليستأنف مسيرته.

ودولة بني أمية هي الدولة التي شهدت فيها الفتوح الإسلامية أقصى اتساعها، حين امتدت الدولة الإسلامية من الأندلس وفرنسا غرباً حتى الصين شرقاً، وقد صاحب تلك الفتوح شعر يصورها ويصف إيمان الجندى المسلم وثباته وصبره. لأن الجنود المقاتلين فيهم الكثير من الشعراء.

يقول كعب الأشقري:

والتركُ تعلمُ إذْ لاقَى جُمُوعَهُمُ ... أَنْ قَدْ لَقُوه شهاباً يَفْرِجُ الظُّلُمَا[1]

بِفِتيةٍ كأَسُودِ الغَابِ لم يَجِدُوا ... غَيْرَ التّاسِّي وغَيْرَ الصبْرِ مُعْتَصَمَا

في حَازَّةِ المَوْتِ حَتّى جنَّ لَيْلُهُمُ ... كلا الفَرِيْقَيْنِ ما ولى ولا انْهزَمَا[2]

ويقول سوادة بن عبد الله السلولي في وصف وفد الدعوة الذي أرسله قتيبة بن مسلم الباهلي إلى ملك الصين في زمن الوليد بن عبد الملك، وكان يرأس ذلك الوفد هبيرة بن المُشَمْرَج الكلابي، وقد سار ذلك الوفد إلى ملك الصين وعرض عليه الإسلام، وبعد محادثات بين الجانبين رضي ملك الصين بدفع الجزية للمسلمين، وعاد الوفد إلى قتيبة بن مسلم، يقول سوادة:

لا عيبَ في الوفد الذين بَعَثْتَهُمْ ... للصين إن سلكُوا طريقَ المَنْهَجِ[3]

كَسَرُوا الجُفُونَ على القَذَى خَوْفَ ... حاشَا الكريمَ هبيرة بن مُشَمْرَجِ

لم يَرْضَ غَيْرَ الخَتْمِ في أعْنَاقِهِمْ ... ورَهَائنٍ دُفِعَت بِحَمْل سَمَرَّجِ[4]

أَدَّى رِسَالَتَكَ التي اسْتَرْعيتَهُ ... وأَتَاكَ من حِنْثِ اليَمِين بِمَخْرَجِ[5]

---

(١) الضمير في (لقوه) يعود إلى يزيد بن المهلب.

(٢) تاريخ الطبري ٣٥٢/٦. والحازة: الشدة.

(٣) المخاطب قتيبة بن مسلم.

(٤) كان قتيبة قد أقسم أن يطأ أرض الصين وأن يختم على رقاب ملوكهم وأن يأخذ الجزية. والسمرج: الخراج.

(٥) كان ملك الصين قد بعث بتراب من أرض الصين ليطأه قتيبة فيبر بقسمه.

والمعاني التي يشتمل عليها شعر الفتوح والدعوة الإسلامية لا تكاد تخرج عن الحماسة والحث على الجهاد وقتال الأعداء – كما تقدم – أو رثاء من يقتل في سبيل الله، أو الحنين إلى الأوطان. وقد اشتهرت عدد من القصائد في الحنين إلى الوطن دون معرفة قائليها.

ومن شعر الحنين إلى الوطن قول الصمة بن عبد الله القشيري[1]:

أَقُولُ لِصَاحِبِي والعِيْسُ تَهْوِي ... بِنَا بَيْنَ المُنِيفَةِ فالضِّمَار[2]

تَمَتّعْ من شميم عَرَارِ نَجْدٍ ... فَمَا بَعْدَ العَشيَّةِ من عَرَار[3]

أَلا يَاحَبّذَا نَفَحَاتُ نَجْدٍ ... وَرَيّا رَوْضِهِ بَعْدَ القِطَار[4]

وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُّ الحَيُّ نَجْداً ... وأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَار[5]

شُهُورٌ يَنْقَضِينَ وَمَا شَعَرْنَا ... بِأَنْصَافٍ لَهُنَّ ولاَ سِرَارِ[6]

---

(١) الصمة بن عبد الله القشيري شاعر أموي، عاش معظم حياته جندياً يقاتل في سبيل الله في بلاد خراسان وما والاها شرقاً، وقد حن كثيراً إلى بلاده نجد التي انتقل منها في أيام شبابه، وقد توفي في طبرستان سنة ٩٥هـ.

(٢) المنيفة: ماء بالقرب من حفر الباطن، الضمار: موضع قريب من حفر الباطن.

(٣) العرار: نبت طيب الرائحة، وله زهر أصفر.

(٤) الريا: الريح الطيبة. القطار: جمع قطر وهو المطر.

(٥) زاري: عائب ومعاتب.

(٦) السرار: آخر ليلة من الشهر. والأبيات في ديوان الصمة ص ٧٨.

خصائص الشعر في العصر الأموي

١- الجمع بين المعاني الجاهلية والإِسلامية.

٢- التوسع في المعاني الإِسلامية من شرح للعقيدة الإِسلامية، وتوضيح طريقة الدعوة، والتفاني في سبيل العقيدة، والدعوة إِلى الجهاد.

٣- التوسع في الأغراض التقليدية حيث أصبح المدح بالإيمان، والهجاء بالكفر والشرك والفسق، والفخر بنصر الإِسلام، واستنهاض الهمم لقتال الكفار.

٤- التنوع الواسع في المعاني ودقتها، والأخذ من ثقافات الشعوب المفتوحة وتاريخها ومعارفها.

٥- الترتيب في المعاني في بعض القصائد.

٦- ظهور معانٍ جديدة كالجدل السياسي والديني عند شعراء الفرق المختلفة، ووجود النقائض التي تعتبر تطوراً لغرض الهجاء.

٧- ظهور شعراء من أصول غير عربية يفتخرون بأصولهم وأممهم ويفضلونها على العرب فيما يعرف بالشعر الشعوبي. ومن شعراء هذا اللون إسماعيل بن يسار.

٨- التنوع في قوة الأسلوب، ما بين قوي يمثله كبار الشعراء كالفرزدق وجرير والأخطل وذي الرمة خاصة في غرضي المدح والهجاء، وسهل رقيق نجده عند شعراء الغزل كجميل بثينة وكثير عزة وقيس بن ذريح وعمر بن أبي ربيعة، وأسلوب ثالث وسط بين القوة والسهولة كمعظم شعر الفتوح وشعر الخوارج.

٩- تأثير البيئة في الشعر. فنجد شعر الحجاز يختلف عن شعر نجد، وكذا شعر العراق وأهل الشام؛ ذلك أن هذه البيئات اختلفت حيث تزخر البيئة العراقية بالصراعات السياسية والدينية، وبيئة الحجاز تميزت برفاهة العيش، ويختلف مركز الخلافة في الشام عن غيره، بينما لم تتغير كثيراً بيئة نجد.

نماذج من الشعر الأموي

(١) الفرزدق يفتخر بقومه:

١- لَنَا العِزَّةُ القَعْسَاءُ والعَدَدُ الذي ... عليه إذا عُدَّ الحصى يَتَخَلّفُ[١]

٢- ولو شَرِبَ الكَلْبَى المراضُ دِماءَنا ... شَفَتْها وذو الخَبْلِ الذي هو أَدْنَفُ[٢]

٣- ترى النّاسَ ما سِرْنا يسيرُون خَلْفَنا ... وإن نحنُ أوْمَأْنا إلى النّاسِ وقّفوا

٤- ولا عِزَّ إلا عِزُّنا قَاهرٌ لَهُ ... ويسألنا النّصفَ الدَّلِيْلُ فَنُنْصِفُ[٣]

٥- وقد علم الجيرانُ أنَّ قُدُورَنَا ... ضَوَامِنُ للأرزاق والريحُ زَفْزَفُ[٤]

٦- نُعَجِّلُ للضِّيفَانِ في المحْل بالقِرَى ... قُدُوراً بَمعْبُوطٍ تُمَدُّ وتُغْرَفُ[٥]

٧- تُفَرَّغُ في شِيزَى كَأَنَّ جِفَانَهَا ... حِيَاضُ جِبى مِنْهَا مِلاءٌ ونُصَّفُ[٦]

٨- تَرى حَوْلَهُنَّ المُعْتفِيْنَ كأنَّهُمْ ... على صنمٍ في الجاهليةِ عُكَّفُ[٧]

٩- وما حَلَّ من جَهْلٍ حُبَى حُلمَائِنَا ... ولا قَائِلُ المعروفِ فينا يُعَنَّفُ

١٠- وما قام منا قائمٌ في نَدِيِّنا ... فَيَنْطِقُ إلاَّ بالتي هِيَ أَعْرَفُ[٨]

١١- وَجَهْلٍ بِحلْمٍ قدْ دَفَعْنَا جُنونَهُ ... وما كانَ لَوْلا عِزُّنَا يَتَزَحْلَفُ[٩]

١٢- رَجَحْنا بهِمْ حتى اسْتَثَابُوا حُلُومَهُمْ ... بِنَا بَعْدَ مَا كَادَ القَنَا يَتَقَصَّفُ[١٠]

---

(١) القعساء: الثابتة.

(٢) الكلبي: الذين بهم داء الكلب وهو عض الكلب. الخبل: الجنون. أدنف:أكثر مرضاً.

(٣) النصف: الإنصاف.

(٤) زفزف: شديدة الهبوب باردة.

(٥) المعبوط: لحم الإبل الصحيحات. تمد: يأتيها مدد.

(٦) الشيزي: الجفان المصنوعة من خشب الشيز، حياض جبى: أي جبي فيها الماء.

(٧) المعتفي: من يطلب الرزق.

(٨) الندي: المجلس. أعرف: أقرب للمعروف.

(٩) يتزحلف: يتنحى ويتباعد.

(١٠) استثابوا حلومهم: رجعت إليهم حلومهم. يتقصف: يتكسر. والقصيدة في جمهرة أشعار العرب ٨٧٦/٢.

(٢) الأخطل يمدح بني أمية(*):

١- إني حلفتُ برب الرَّاقِصاتِ وما ... أضحى بمكةَ من حُجْبٍ وأسْتَار[١]
٢- لأَلْجَأَتْني قُرَيْشٌ خَائِفًا وَجِلاً ... وَمَوَّلتْني قُرَيشٌ بعد إقْتَار[٢]
٣- المُنْعِمُونَ بَنُو حَرْبٍ وَقَدْ حَدَقَتْ ... بِيَ المنِيّةُ واستَبْطَأتُ أنصَاري[٣]
٤- قَوْمٌ يُجَلُّونَ عَنْ أَحْيَائِهَا ظُلُماً ... حَتَّى تَكَشّفَ عن سَمْعٍ وإبْصَارِ[٤]
٥- قَوْمٌ إذَا حَارَبُوا شَدُّوا مآزِرَهُمْ ... عن النِّسَاء ولو باتَتْ بِأَطْهَار
٦- هَيْنُونَ لَيْنُونَ اسَادٌ دُوُو شَرَسٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَار[٥]
٧- لاَ يَنْطِقُونَ بِفَحْشَاءٍ إذَا نَطَقُوا ... ولا بِمَا دُوْنَ إنْ مَارُوا بإكْثَارِ[٦]
٨- مَنْ تَلْقَ منهم تَقُلْ لاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلَ النُّجُومِ التي يَسْرِي بِهَا السّارِي

(٣) جرير يهجو قبيلة تغلب قوم الأخطل:

١- إنّي حَلَفْتُ فلن أُعَافِيَ تَغْلِباً ... للظالمين عُقُوبَةً ونَكَالا
٢- قَبَحَ الإلهُ وجوهَ تَغْلِبَ إنّهَا ... هَانَتْ عليَّ مَعَاطِساً وَسِبَالا[٧]
٣- قَبَحَ الإلهُ وجوهَ تَغْلِبَ كُلّمَا ... لَبَّى الحَجِيجُ وكَبّرُوا إهْلالا
٤- عَبَدُوا الصَّلِيْبَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمّدٍ ... وَبِجَبْرئِيلَ وكَذَّبُوا مِيْكَالا
٥- لاَ تَطْلُبَنَّ خُؤُولَةً مِنْ تَغْلِبٍ ... فالزِّنْجُ أَكْرَمُ منهمُ أَخْوَالا

(*) الأخطل: هو غياث بن غوث بن الصلت التغلبي النصراني، نشأ في الحيرة في العراق واتصل بخلفاء بني أمية ومدحهم بقصائد كثيرة، وقد توفي سنة ٩٠هـ.

(١) الراقصات: الإبل الساعية إلى مكة. والحجب والأستار: كساء الكعبة.

(٢) يقول أقسم أن قريشاً الجأتني وأمنتني بعد تمديد الأنصار لي.

(٣) حدقت: أحاطت.

(٤) أحياؤها: جمع حي وهي الجماعة.

(٥) شرس: قوة.

(٦) ماروا: عاشوا في نعمة. والقصيدة في ديوانه ص ٨٣.

(٧) المعاطس: الأنوف. والسبال: شعر الشارب.

٦- هـل تَمْلِكُـونَ مـن المـشَاعِرِ مَـشْعَراً أو تَنْزِلُـونَ مِـن الأرَاكِ ظِـلالا[١]
٧- لَـوْلاَ الجِـزَى قُـسِمَ الـسّوَادُ وَتَغْلِـبٌ للمـسلمينَ فَأَصْـبَحُوا أنْفـالا[٢]
٨- لَـوْ أَنَّ تَغْلِـبَ جَمَّعَـتْ أَحْـسَابَهَا يَـوْمَ التّفَاضُـلِ لَـمْ تَـزِنْ مِثْقَـالا

(٤) مالك بن الريْب يرثي نفسه لما أحسّ بقرب منيته(*):

١- ألا ليـت شـعري هـل أَبيـتَنَّ ليلـةً بجنبِ الغضى أُزجي القِـلاصَ النواجيا[٣]
٢- أَلَـمْ ترنـي بِعْـتُ الـضلالةَ بالهُـدى وأصبحتُ في جيشِ ابن عَفَّـانَ غازيا[٤]
٣- فَلِلَّـهِ درِّي يـومَ أَتْـرَكُ طائعـاً بَنِـيَّ بـأعلى الـرَّقْمتيْن ومالِيـا[٥]
٤- ودرِّ الظبـاءِ الـسانحاتِ عـشيَّةً يُخَبِّـرْن أنـي هالـكٌ مَـنْ ورائيـا
٥- تذكّرْتُ مـن يبكـي عليَّ فلـم أَجِـدْ سِوَى السّيْفِ والرمحِ الرُّدَيْنِيُّ باكِيَا[٦]
٦- ولمـا تَـراءتْ عنـد مـروِ مَنِـيَّتي وَحَلَّ بهَا سُـقْمِي وحانَـتْ وَفَاتِيَـا[٧]
٧- أقـولُ لأصـحابي ارفعـوني فَـإِنّني يَقَـرُّ بعـيني أَنْ سُـهَيْلٌ بَـدَا لِيَـا[٨]
٨- ويا صَاحِبِيْ رَحْلِي دنا الموتُ فـانزلا برَابِيَـةٍ إِنِـي مقـيمٌ لَيَاليَـا
٩- أَقِيمَـا علـيَّ اليـومَ أو بَعْـضَ لَيْلَـةٍ ولا تُعْجِلاَنِـي قَـدْ تَبَـيَّنَ مَـا بِيَـا
١٠- وقُومَـا إِذَا مـا اسْـتُلَّ رُوحِـي فَهَيِّئَـا لِـيَ الـسِّدْرَ والأكفـانَ ثُـمَّ ابكيـا لِيَـا
١١- وخُطَّـا بِـأطْرَافِ الأَسِـنَّةِ مَـضْجَعِي ورُدَّا عَلَـى عَيْنَـيَّ فَـضْلَ ردَائِيَـا

---

(١) الأراك: أراك عرفة، أي إنهم لا يحجون ولا يحلون بأراك عرفة لأنهم نصارى.

(٢) الجزى: جمع جزية وهي ما يدفعه النصارى للمسلمين. السواد: ريف العراق. أنفال: غنائم. والقصيدة في ديوان جرير ص ٤٥٠.

(*) مالك بن الريب: شاعر من بني تميم كان لصاً في أول حياته ثم انضم إلى الجيوش الإسلامية في خراسان وقد توفي في مرو سنة ٦٠هـ.

(٣) الغضى: شجر ينبت في الرمل. أزجي: أسوق. القلاص: جمع قلوص وهي الفتية من الإبل. النواجي: السريعة.

(٤) ابن عفان: يعني سعيد بن عثمان بن عفان، ولاه معاوية على خراسان.

(٥) الرقمتين: اسم المكان الذي فيه أهله.

(٦) الرديني: نسبة إلى ردينة وهي امراة تبيع الرماح في الخط (القطيف).

(٧) مرو: عاصمة خراسان.

(٨) سهيل: نجم يماني لا يرى في خراسان.

١٢- ولا تَحْسُدَانِي بارك اللهُ فِيكُمَا مِنَ الأرضِ ذاتِ العَرْضِ أَنْ تَوُسِعَا
١٣- خُذاني فَجُرّاني بِبُرْدي إِلَيْكُمَا فقد كنتُ قبل اليَوْمِ صَعْباً قِيَادِيَا
١٤- يقُولُونَ لا تَبْعُد وهم يَدْفنونني وأَيْنَ مَكَانُ البُعْدِ إلاَّ مَكَانِيَا[1]
١٥- غَدَاةَ غَدٍ يالَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ إِذَا أَدْلَجُوا عَني وخُلِّفْتُ ثَاوِيَا

(٥) قصيدة الراعي النميري في شكوى عمال الزكاة(*):

١- أَخَلِيْفَةَ الرحمنِ إنّا مَعْشَرٌ حُنَفَاءُ نسجدُ بكْرَةً وأَصيلا
٢- عَرَبٌ نرى لله في أَمْوَالِنَا حَقَّ الزَّكاةِ مُنَزَّلاً تَنْزِيلا
٣- إنَّ السُّعَاةَ عَصَوكَ يوم أَمَرْتَهُمْ وأَتَوْا دَوَاهِيَ لو عَلِمْتَ وغُولا[2]
٤- أخليفةَ الرحمن إنَّ عَشِيرتي أَمْسَى سَوَامُهُم عِزينَ، فُلُولا[3]
٥- قَوْمٌ على الإسْلام لَمَا يَتْرَكُوا ماعُونَهُمْ ويُضَيِّعُوا التَهْلِيلا
٦- أَنْتَ الخَلِيْفَةُ عَدْلُهُ ونوالُهُ وإِذَا أَرَدْتَ لِظَالِمٍ تَنْكِيلا
٧- فادْفَعْ مظَالِمَ عَيَّلَتْ أَبْنَاءَنَا عَنّا وأَنْقِذْ شِلْوَنَا المَأْكُولا[4]
٨- فَتَرَى عَطِيَّةَ ذاكَ، إنْ أَعْطَيْتَهُ مِنْ رَبِّنَا فَضْلاً، ومِنْكَ جَزِيلا
٩- إنَّ الذين أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعْدِلُوا لَمْ يَفْعَلُوا ممّا أَمَرْتَ فَتِيلا[5]
١٠- أَخَذُوا الكِرَامَ مِنَ العِشَارِ ظُلاَمَةً مِنّا وتُكْتَبُ للأَمِيرِ أَفِيْلا[6]

---

(١) البعد: الهلاك. والقصيدة في جمهرة أشعار العرب ٢/٧٥٨.
(*) الراعي النميري: هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل من بني نمير، شاعر فحل، توفي سنة ٩٠هـ.
(٢) غول: دواهي.
(٣) عزين: فلول: متفرقة.
(٤) عيلت: التعييل: سوء الغذاء، الشلو: العضو.
(٥) الفتيل: ما يكون في شق النواة، والمقصود: أقل القليل.
(٦) الأفيل: الصغير. والقصيدة في جمهرة أشعار العرب ٢/٩٢٢.

دراسة مُفصَّلة للشاعرين: جرير والفرزدق:

جـريـــــر

حياتـــــه:

هو جرير بن عطية بن الخَطَفَى التميمي، وأبوه عطية ليس له شأن فهو قليل الفطنـــة وقليـــل المال، أما جدُّه الخطفى فكان يقول الشعر وهو صاحب ثروة من الغنم والحمير. ولجرير أخوان هما عمرو وأبو الورد. وله من الأبناء ثمانية، ومن البنات اثنتان وكنيته أبو حزرة.

وينتسب جرير لقبيلة كليب اليربوعية التميمية، ومساكن هذه القبيلة في صـــحراء المـــروت الواقعة في الوشم، وقبيلة كليب هذه ليس لها شأن؛ فجرير عندما يفتخر، يفتخر بقبيلتـــه الكـــبيرة يربوع أو يفخر بقومه بني تميم، وقد استغل الفرزدق ضعف قبيلة كليب وعدم نباهتها فأخذ يعـــير جريراً بقبيلته هذه وأنها لا تملك إلا الأتن والأغنام، ولا تملك الإبل وليس لها أموال كقبائل تمـــيم الأخرى.

وقد نشأ جرير وعاش معظم حياته في صحراء المروت في الوشم، إلا أن قومه بـــني يربـــوع دعوه للإقامة في البصرة لما رأوا الفرزدق يقيم بها وينظم الأشعار في هجاء جرير وقومه، فاستجاب جرير لقومه وانحدر إلى البصرة وأقام فيها سنوات وكان ينشد شعره في سوق المربد وقد اســـتعر الهجاء بينه وبين الفرزدق في سوق المربد، فاضطر عامل ابن الزبير على البصرة إلى هدم بيتيهما.

وجرير يتصف بالعفة وطهارة النفس والتمسك بالدين، فغزله في زوجاته وإمائه، وهجـــاؤه دفاع عن النفس وقبيلته. وقد عاش عيشة طيبة، فمديحه يدر عليه الأموال الطائلة إذ أنه مدح عبد الملك فأعطاه مئة ناقة جائزة له على قصيدة واحدة. ولجرير صلات وثيقة مع ولاة اليمامـــة لأنـــه يحتاج إليهم. وقد مدح المهاجر بن عبد الله ببعض القصائد.

وقد توفي جرير سنة إحدى عشرة ومئة عن عمر يتجاوز الثمانين عاماً.

شعـــــره:

شعر جرير يشمل الهجاء والمدح والرثاء والغزل، وهو شعر يرق في الغزل ويكـــون قويـــاً في المدح والهجاء، وشعره كثير ومتنوع، وكان يقول عن نفسه: (أنا مدينة الشعر).

وجرير شاعر مطبوع يقول الشعر استجابة لسجيته وطبيعته؛ فشعره خال من التكلف وهذا هو السبب الذي جعل أسلوبه عذباً ليناً لا قسوة فيه ولا جفاء. وأكثر شعره في الهجـــاء ثم يليـــه المدح، وله رثاء جيد، أما غزله فهو قليل، ولجرير رجز ولكنه قليل، وهذه هي أهم أغراض شعره:

الهجـــاء:

الهجاء من أشهر أغراض شعره فقد تهاجى مع ثلاثة وأربعين شاعراً، وقيل أكثر من ذلـــك، وهجاء جرير من أقسى الهجاء، وقد صمد في هجائه لعدد كبير من الشعراء حتى أخذ يقول:

عـــوى الـــشعراءُ بعـــضُهُمُ لِـــبَعْضٍ ... علـــيَّ فقـــد أصـــابَهُمُ انْتِقَـــامُ

إذا أرســـــلتُ قافيـــــةً شَـــــرُودا ... رأوا أخـــرى تُحَـــرِّقُ فاســـتَدَامُوا[1]

فمُـــصْطَلَـمُ المَـــسَامِعِ أو خَـــصِيٌّ ... وآخـــرُ عَظْـــمُ هَـــامَتِهِ حُطَـــامُ[2]

وإذا نظرنا إلى هجائه وجدناه موجعاً وسائراً بين الناس؛ فقصيدته في بني نمير أخزتهم، وأخذ الناس يتناقلون هذا البيت:

فغـــضَّ الطـــرف إنـــك مـــن نمـــيرٍ ... فـــلا كعبـــاً بلغـــت ولا كلابـــا

ومن هجائه قوله يهجو الأخطل وقبيلته تغلب:

خابتْ بنو تغلـبٍ إذ ضـلَّ فـارطُهم[3] **... حـــوضَ المكـــارمِ إن المجـــدَ مُبتَـــدَرُ**

الظـــاعنون علـــي العميـــاء إن ظعَنـــوا ... والـــسائلون بَظَهـــرِ الغيـــب مـــالخبرُ

أحيـــاؤهم شـــرٌّ أحيـــاءٍ وألأَمُـــهُ ... والأرضُ تلفِـــظُ موتـــاهم إذا قُـــبروا

---

(١) استداموا: انتظروا.

(٢) الاصطلام: القطع. والأبيات في ديوان جرير ٥١٣.

(٣) الفارط: الذي يتقدم قبل الإبل ليسقيها.

وما لتغلب إن عُدَّتْ مساعيهَا نجمٌ يضيءُ ولا شمسٌ ولا قمرُ

المدح:

جرير من الشعراء الذين يُسَخِّرون قصائد المدح لطلب المال فهو عندما يمدح خليفة من بني أمية أو عاملاً من عمالهم فإنما يمدحه من أجل العطاء، وهو يضفي على ممدوحه الصفات التقليدية من كرم وشجاعة ووفاء ولكن قصائد المدح لا تخلو من المعاني الإسلامية. فهو يقول في مدحه لعبد الملك بن مروان:

ثِقي بالله ليس له شريكٌ ومن عند الخليفة بالنَّجَاحِ
أغِثْني يا فداكَ أبي وأمي بِسَيْبٍ منكَ إنَّك ذو ارْتياحِ
فإني قد رأيتُ عليَّ حَقاً زِيارَتِيَ الخليفةَ وامتداحي
سأشكر إنْ رَدَدْتَ عليَّ ريشي وأنْبَتَّ القَوادِمَ في جَنَاحِي
أَلَسْتم خَيْرَ من ركب المطَايَا وأندى العالمين بُطُونَ رَاحِ

وقد مدح الحجاج وعمر بن عبد العزيز والمهاجر بن عبد الله الكلابي وغيرهم من خلفاء بني أمية وعمالهم. وقد قال في عمر بن عبد العزيز:

نالَ الخلافةَ إذْ كانت له قَدَراً كما أتى رَبَّهُ موسى على قَدَرِ

ولكن عمر لم يعطه شيئاً وعندما رجع إلى قومه قال:

تركت لكم بالشام حَبْلَ جَمَاعةٍ أمينَ القُوى مُسْتَحْصِدِ العَقْدِ بَاقِيَا
وَجَدْتُ رُقى الشَيْطَانِ لاَ تَسْتَفِزُّهُ وقد كان شيطاني من الجِنِّ رَاقِيَا

الرثاء:

لم يكن الشعر الذي قاله جرير في الرثاء كثيراً إذ لا يقارن بالمدح والهجاء ولكنه شعر خارج من القلب؛ فقد فقدَ زوجته ورثاها بشعر تظهر فيه لوعة الحزن وألم الفراق حيث يقول:

لولا الحياءُ لعادَني اسْتِعْبَارُ ولَزُرْتُ قَبْرَكِ والحبيبُ يُزَارُ

لا يَلْبَـــثُ القُرَنَـــاءُ أَنْ يَتَفَـــرَّقوا لَيْـــلٌ يَكـــرُّ عَلَيْهِـــمُ ونَهَـــارُ

أما رثاؤه لابنه سوادة فهو رثاء الأب الحاني على ابنه فهو يلتمس العزاء ولا يجده على الرغم من معرفته التامة لما يناله الصابر من الأجر، يقول جرير:

فارَقْتَني حين كَفَّ الـدَّهْرُ مـن بَـصَري وحـينَ صِـرْتُ كَعَظْـمِ الرِّمَّـةِ البَـالي
إلاَّ تَكُـــنْ لَـــكَ بالـــدَّيْرَيْن باكيـــةٌ فَـــرُبَّ بَاكِيَـــةٍ بالرَّمْـــلِ مِعْـــوَال[1]
قالـوا نَصِيْبُكَ مـــن أَجْـرٍ فَقُلْـتُ لَهُـمْ كَيْفَ العَـزَاءُ وقـد فارقـت أَشْبَالي

الغـــــزل:

يتميز غزل جرير بالرقة والعذوبة، وهو قليل إذا قيس بالأغراض الأخرى، وجرير يبعد عـــن الفحش في غزله، ويمتاز بالرقة واللين في أسلوبه، ومن غزل جرير قوله:

إنَّ العُيُـــونَ الـــتي في طَرْفِهَـــا حَـــوَرٌ قَتَلْنَنَـــا ثُـــم لم يُحْـــيينَ قَتَلاَنَـــا
يَـصْرَعْن ذا اللُّـبِّ حَتـى لا حَـراكَ بِـهِ وهُـــنَّ أَضْـــعَفُ خَلْـــق الله أَرْكَانَـــا
أَتْبَعْـــتُهُمْ مُقْلَـــةً إِنْـــسَانُهَا غَـــرِقٌ هـل مَـا تَـرَى تَـارِكٌ للْعَـيْنِ إِنْـسَانَا

(١) الديرين: هما دير فطرس ودير بولس في غوطة دمشق وكان سوادة قد مات هناك.

قصيدة جرير في مدح عبد الملك بن مروان

١- أَتصْحُو أم فؤادُك غيرُ صاحِ ... عَشِيَّةَ هَمَّ صحبُك بالرواحِ

٢- تقول العاذلاتُ علاك شيبٌ ... أهذا الشيب يمنعني مِراحي

٣- تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثم قالت ... رأيت الواردين ذوي لِقَاحِ

٤- تُعَلِّلُ وهي ساغبةٌ بنيها ... بأنفاس من الشَّبِمِ القَرَاحِ

٥- سأمتاحُ البحورَ فَجَنِّبِيني ... أذاةَ اللَّوْمِ وانتظري امْتِيَاحِي

٦- ثقي بالله ليس لهُ شريكٌ ... ومن عندِ الخليفةِ بالنجاحِ

٧- أغثني يافداكَ أبي وأمي ... بِسَيْبٍ منك إنك ذو ارْتِيَاحِ

٨- فإني قد رأيت علي حقاً ... زيارتيَ الخليفةَ وامْتِداحِي

٩- سأشكرُ إن رددتَ علي ريشي ... وأنْبَتَّ القوادمَ في جناحي

١٠- ألستُم خير من ركب المطايَا ... وأندى العالمينَ بُطُونَ راحِ

١١- أَبَحْتَ حمى تهامةَ بعد نجدٍ ... وما شيءٌ حَمَيْتَ بِمُسْتَبَاحِ

١٢- لكُمْ شُمُّ الجبال من الرواسي ... وأعظمُ سيل مُعْتَلَجِ البِطَاحِ

١٣- فما شجرات عيصك في قريش ... بِعَشّاتِ الفروع ولا ضواحي

١٤- رأى الناسُ البصيرةَ فاستقاموا ... وبيَّنْتَ المِرَاض من الصِّحَاحِ

المناسبـــة:

كان جرير يقيم في العراق من وقت لآخر فيمدح الحجاج بقصائد جيدة، وعندما أكثر جرير من مدحه قال له: إن طاقتي تعجز عن مكافأتك ولكني سأرسلك إلى من هو أقـــدر مـــني وهـــو الخليفة عبد الملك بن مروان، فأرسل الحجاج جريراً إلى عبد الملك وكتب معه خطاباً إليه، وكـــان جرير قد أعد هذه القصيدة، وعندما أُذن له بالدخول على عبد الملك أنـــشده هـــذه القـــصيدة، فأستحسنها الخليفة وقال لمن حوله: من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت، وقد كافـــأ جريراً على قصيدته هذه مكافأة جزيلة وهي مئة من الإبل، وثمانية أعبد، ومحلب من فضة.

شـــرح الأبيات:

(١) أتصحو أيها الشاعر من الحيرة التي ألمت بك في ذلك المساء الذي عزم فيه أصحابك علـــى المسير أما يبقى سادراً في غيه وحيرته.

(٢) لقد أكثرت النساء من لومي ورميي بالكبر وظهور الشيب، وردي على ذلك اللوم هـــو أن الشيب لا يمنع الرجل من أن يكون مرحاً.

(٣-٤) أم حزرة: زوجة جرير. الواردين: أصحاب الإبل يوردونها الماء. لقاح: إبل كريمة. ساغبة: جائعة. أنفاس: جمع نَفَس والنفس: جرعة الماء. الشبم: البارد. والقراح: الخالص..

عندما رأت أم حزرة وفرة اللبن عند غيرها من الناس أخذت تعزي نفسها وهي أشـــد مـــا تكون من الجوع، وبدأت تلهي أبناءها بجرعات من الماء البارد النقي لعله يعوضهم عن اللبن المفقود.

(٥-٦) الميح: العطاء

سأطلب العطاء من خلفاء بني أمية الذين يشبهون البحور في كرمهم ونوالهم، فدعي لـــومي وانتظري عودتي بالعطاء. وثقي بالله أنني لن أعود من الخليفة خائباً بل سأنجح في مسعاي.

(٧-٨) سيب:عطاء. ارتياح: تحرك للعطاء وهشاشة له.

أنقذني أيها الخليفة بعطاء يمنع عني الفقر فإنني أراك ترتاح للعطاء وتهش له وقد، رأيت أن من واجبي زيارة الخليفة ومدحه.

(٩) القوادم: ريشات في جناح الطائر.

إنني أشكرك أيها الخليفة عندما تتفضل علي بالمال الذي يكسوني بالزينة كما يكتسي الطائر بريشه وينهض بي كما تنهض القوادم بالطائر

(١٠) ليس غريباً عليكم العطاء، فأنتم أفضل من ركب الإبل، وأنتم أكرم الناس أجمعين فأيديكم مستمرة في العطاء

(١١) لأنك شجاع ومهاب فإنك تحمي ما تشاء وتبيح الحمى الذي تريد دون أن يعترض أحد على ذلك.

(١٢) شم: عالية. معتلج: كثير يركب بعضه بعضاً.

إنكم تملكون الجبال العالية الراسية، والأودية العظيمة، فلكم جبال مكة وبطحاؤها، فأنتم أهلها وليس ابن الزبير المدعي بملكيتها.

(١٣) العيص: الأصل وهو منبت خيار الشجر. العَشَّة: الشجرة اللئيمة المنبت الدقيقة القضبان. الضواحي: بادية العيدان. والعيص هنا: الأصل

إن أصلك يا عبد الملك في قريش أصل راسخ قوى الجذور، سالم من اللؤم والدناءة

الفـــــرزدق

حياتـــه:

هو همام بن غالب بن صعصعة. من مجاشع بن دارم، وهي إِحدى قبائل تمـــيم المـــشهورة في الجاهلية والإِسلام، وزعماء هذه القبيلة في الجاهلية هم أجداد الفرزدق؛ فجده صعـــصعة، كـــان كريماً عظيم القدر وكان ينهى قومه عن وأد البنات، وقد اشترى كثيراً من الموؤدات قيل إنها تصل إلى أربع مئة، وقد وفد صعصعة على الرسول ﷺ وأسلم.

أما والد الفرزدق فهو غالب وكان زعيم مجاشع في الإِسلام، وقد اشتهر بكرمه في عام المجاعة في زمن على بن أبي طالب رضي الله عنه؛ حيث أخذ ينحر كل يوم عشراً من الإِبـــل ويطعمهـــا الفقراء، فقبيلة الفرزدق لها شأن عظيم في الجاهلية والإِسلام وهذا هو السبب الذي جعل الفرزدق يفتخر بنسبه وقبيلته. ومساكن هذه القبيلة في كاظمة وما حولها الآن في الكويت، والفرزدق يقيم في البصرة أحياناً، ولكن معظم إقامته في البادية في مساكن قبيلته.

ولد الفرزدق في كاظمة، ونشأ في بيت عز وسيادة، والفرزدق لقبه، ولقِّب به لجهامة وجهه تشبيهاً له بالفرزدقة وهي الخبزة. وقد تربى الفرزدق على الصفات الجاهلية الموروثة من القبيلة ذات العز والشرف، وكان مطلعاً على تعاليم الإِسلام ولكن معظم قيمه استمدها من الجاهلية، فهو يجير من استجار بقبر أبيه غالب، وينحر الإِبل على قبور أصدقائه الذين ماتوا قبله.

ومن صفات الفرزدق أنه ذكيَ، سريع الجواب، حاضر البديهة، عزيز النفس لا يُذِل نفـــسه أبداً. وقد تزوج الفرزدق أكثر من واحدة، ولكن زوجته النوار اشتهرت أكثر من غيرها لمطالبتها بالطلاق ورفع ذلك إلى ابن الزبير في مكة. وقد عاش الفرزدق حياة كريمة لا يتقـــرب فيهـــا إِلى الولاة والخلفاء فقد طلبه زياد بن أبيه والي العراق فهرب إِلى سعيد بن العاص والي المدينة، فلمـــا تولاها مروان بن الحكم أنذره فخرج من المدينة، وفي هذه الفترة توفي زياد وتولى العراق ابنه عبيد

الله فرجع الفرزدق إلى العراق.

وفي ولاية بشر بن مروان على العراق حسنت علاقة الفرزدق بالوالي لأن الفرزدق يرى أن بشراً أهل للصداقة لأنه أخو الخليفة، وأما علاقته بالحجاج فهي علاقة يلفها الخوف. ولم يَفِد الفرزدق على الخلفاء إلا في آخر حياته لأنه يرى أنه ندٌّ لهم. وقد توفي بالبصرة سنة عشر ومئة للهجرة.

شعـــــره:

الفرزدق شاعر فحل؛ وعندما سئل عن مجئ الشعر له قال: إنما أتاني الشعر من قبل خالي العلاء بن قرظة الضبي، وكان العلاء شاعراً. وشعر الفرزدق قوي يكثر فيه الغريب، وقد تأثر بحياة البداوة وبرز ذلك في شعره من ناحية المعاني والأسلوب، وشعره وإن كانت معانيه تميل إلى مُثُل العرب في الجاهلية فإنه يشتمل على معان إسلامية كثيرة منها قوله:

ولَـنْ يُقـدِّمَ نَفْـساً قبـل مِيتَتِهَـا جَمْعُ اليَدَيْن ولا الصَّمْصَامَةُ الـذَّكّر (١)

وقوله:

ولَسْتَ بِمَأْخُوذٍ بِلَغْوٍ تَقُولُهُ إذا لَمْ تَعَمَّدْ عَاقِدَاتِ العَزَائِمِ

وقد قال الفرزدق الشعر في أغراض مختلفة ولكن أهم أغراض شعره هي: الفخر والمدح والهجاء.

الفخـــــر:

عندما يفتخر الفرزدق فإنه يعتمد على قاعدة قوية من المجد والشرف؛ فجده صعصعة سيد مطاع في قومه وقد اشترى كثيراً من الموؤدات وله عدد كثير من العبيد. وأبوه غالب من زعماء تميم في الإسلام وقد اشتهر بالكرم.

والمعاني التي يشتمل عليها فخر الفرزدق هي الشرف وكثرة العدد والطاعة في القبيلة،

---

(١) الصمصامة الذكر: السيف القاطع.

والكرم، والحلم. وأسلوبه في الفخر أسلوب قوي متين تتخلله الألفاظ الغريبة، وخير ما يمثل فخر الفرزدق قوله:

لنا العِزَّةُ القعساء والعدد الذي ... عليه إذا عُدَّ الحصى يَتَخَلّفُ[1]
ترى الناسَ ما سِرْنا يسيرون خَلْفَنَا ... وإنْ نَحْنُ أَوْمَأنا إلى النّاسِ وقّفُوا
وقد علم الجيرانُ أنَّ قُدُورَنَا ... ضَوَامِنُ للأرزاقِ والريحُ زَفْزَفُ

المدح:

لم يكن الفرزدق يمدح ليجمع المال لأنه في غنى عن ذلك لثراء أسرته، ولكنه مدح بعض ولاة العراق ليتقرب إليهم إما لحاجات قبيلته وإمّا للخوف من شرهم، وقد مدح من أولئك الأمراء الحجاج ويزيد بن المهلب، أما خلفاء بني أمية فقد بقي الفرزدق بعيداً عنهم لا يذهب إلى دمشق ولا يمدحهم، إلى أن اضطرته حاجات قبيلته تميم إلى الذهاب للخليفة سليما بن عبد الملك؛ فمدحه وشرح له الوضع القائم بين قيس وتميم.

ومن أشهر مدائحه قصيدته التي مدح بها زين العابدين على بن الحسين ومنها:

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ ... والبيتُ يعرفُه والحِلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كُلِّهِمُ ... هذا التَّقيُّ النَّقيُّ الطاهرُ العلمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهِلَهُ ... بجدِّهِ أنبياءُ اللهِ قد خُتِموا
سهلُ الخليقةِ، لا تُخشى بوادرُهُ ... يَزينهُ اثنان: حُسْنُ الخَلْقِ والشيمُ[2]
ما قالَ: لا قطُّ إلا في تشهُّدِهِ ... لولا التشهدُ كانت لاءَه نَعَمُ

الهجاء:

قال الفرزدق كثيراً من الهجاء في جرير، وشعر النقائض يشتمل على هجاء الفرزدق لجرير.

---

(١) القعساء: الثابتة.

(٢) الخليقة: الطبيعة. بوادره: جمع بادرة وهي الحدة.

وهجاؤه في معظمه مقرون بالفخر، وهو يُعَيِّر جريراً بأن ماله من الحمير، وأن قبيلته كليباً ليس لها شأن، وأنه كلبُ قيس. ومن هجاء الفرزدق قوله:

قَنافِـذُ دَرَّاجُـونَ حَـوْلَ جِحَاشِـهِمْ لَمَـا كَـانَ إِيّـاهُمْ عَطِيّـةُ عَـوَّدَا

وللفرزدق هجاء في بني قيس بن عاصم المنقري وغيرهم، ولكن معظم هجائه في جرير، ومما قاله في بني قيس بن عاصم عندما لجأت إليهم زوجته النوار:

بَـني عاصـم لا تُلجئُوهـا فـإِنّكُمْ ملاجـئ للـسّوآتِ دُسْـمُ العَمَـائِمِ[1]

(١) دسم العمائم: أي عمائمكم وسخة قذرة.

قصيدة الفرزدق في وصف الذئب

١- وَأَطْلَسَ عسَّالٍ وما كان صاحباً ... دعوت بِنَاري مَوْهِناً فأتاني
٢- فلما دَنَا قلت ادْنُ دونك إنّني ... وإيّاكَ في زادي لَمُشْتَرِكَانِ
٣- فبت أُسَوِّي الزاد بيني وبينه ... على ضوء نار مرة ودخان
٤- فقلت له لما تَكَشَّر ضاحكاً ... وقائمُ سَيْفي من يدي بمكان
٥- تَعَشَّ فإن واثقتني لا تخونني ... نكن مِثْلَ من يا ذئبُ يصطحبان
٦- وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما ... أُخَيَّيْنِ كانا أُرْضِعَا بِلِبَانِ
٧- ولو غيرنا نَبَّهْتَ تَلْتَمِسُ القِرَى ... أتاك بسهم أو شَبَاةِ سِنَانِ

مناسبة القصيدة:

كان الفرزدق قد خرج من الكوفة هو وبعض أصحابه، ولما طال بهم المسير أناخوا ركابهم في منتصف الليل وناموا، وكانوا قد هيؤوا للعشاء شاة وسلخوها وعلقوها على جمل لهم، ولكن النوم غلبهم فاستجابوا له، وبينما هم في نومهم إذ هجم ذئب على تلك الشاة المسلوخة وأخذ ينهشها، فاستيقظ الفرزدق، وأناخ الإبل وقطع رجل الشاة ورماها للذئب، فأخذها الذئب وتنحى جانباً وأكلها ثم عاد، فما كان من الفرزدق إلا أن قطع له يد الشاة فأخذها الذئب وذهب لسبيله. وفي الصباح قص الفرزدق على أصحابه ما كان بينه وبين الذئب.

شرح الأبيات:

(١) أطلس: أغبر عسال: يهتز ويضطرب في سيره. الموهن: نصف الليل.

إن ناري في الليل المظلم ترحب بالجائع، وقد اهتدى بها ذئب أغبر اللون يضطرب في مشيته وفد علي في نصف الليل.

(٢) ولما اقترب ناديته أن يدنو مني، ولاطفته ليشترك معي في طعامي.

(٣) فأخذت أقطع له اللحم في تلك الليلة، مهتدياً بضوء ناري، وأحياناَ لا يتيح لي الفرصة لمواصلة اشتعال النار فأكتفي بدخان النار.

(٤-٥) ولما رأيته قد كشف عن أسنانه استعداداً للافتراس والعراك، قلت له تعش فاللحم أمامك فإن أعطيتني موثقاً بعدم الخيانة فإنني وإياك سنصبح صديقين، أقول ذلك وقد وضعت مقبض سيفي في يدي لأنني أعرف أن ضحك الذئب غير ضحكنا.

(٦) اللِّبَان: الرضاع.

إنك أيها الذئب أخ للغدر فقد رضعتما من لبان واحد فكيف تفترقان؟

(٧) القرى: ما يقدم للضيف. السنان: نصل الرمح. وشباته: حد طرفه. لو طرقت غيرنا أيها الذئب تطلب الطعام أتاك سهم منطلق أو حربة سنان حادة..

مناقشـــــــة

١- تحدث عن الأغراض الجديدة في الشعر في العصر الأموي.

٢- اذكر الخصائص التي تميز بها الشعر في هذا العصر.

٣- إلى أي القبائل ينتسب كل من جرير والفرزدق؟

٤- قيل "جرير يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر" ناقش هذا القول.

٥- تحدث عن الفخر عند الفرزدق، والغزل عند جرير.

النثر في العصر الأموي

تطور النثر في العصر الأموي وتعددت أغراضه تبعاً لتطور العقلية العربية والإسلامية؛ فالخطب تعددت أنواعها، والرسائل تحولت في بعض صورها إلى مُحاجَّة تشتمل على الجدل وتعتمد على الإقناع وبسط الكلام.

وبجانب الخطب والرسائل محاضرات الوعاظ التي تطول ويصعب حفظها، فقد كان الحسن البصري وغيره يجلسون للوعظ في المساجد فيتدفق الكلام من أفواههم في أسلوب يخلب الألباب. ونجد من أنواع النثر في هذا العصر المناظرات التي تعقد بين المعتزلة والقدرية والمرجئة والخوارج، ومن أهم أنواع النثر في هذا العصر: الخطب والرسائل.

الخطابة

أنواعها:

(أ) **الخطابة الدينية**.وهي تشمل خطب الجمعة والعيدين، ومادتها الوعظ والإرشاد وتبيين أمور الدين، وقد تعمد إلى الترغيب والترهيب. وينهض بها في مركز الخلافة الخليفة، وفي الولايات الولاةُ، ويوجد خطباء مشهورون بخطبهم الدينية بجانب الخلفاء والولاة، من أولئك عبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن المسيب، ومالك بن دينار، وإياس بن معاوية قاضي البصرة، والحسن البصري.

(ب) **الخطب السياسية**. وهدفها إقناع المسلمين برأي سياسي يستحسن الناس به الحكم القائم، أو يقوم على أساسه حكم جديد؛ فبنو أمية يثبتون حكمهم عن طريق الخطب السياسية، والشيعة يسعون لإقناع المسلمين بآرائهم تمهيداً لقيام حكمهم، والخوارج يخطبون في الناس ليقيموا حكماً يختلف عن حكم الأمويين والشيعة، والزبيريون أقاموا حكماً مبنياً على

آرائهم. وهم يسعون إلى تثبيته عن طريق الخطب.

ومن أشهر خطباء السياسة: معاوية، والحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، وعبد الملك بن مروان، وزياد بن أبيه، والحجاج، وقطري بن الفجاءة، وعمران بن حطان.

(ج) **خطابة الوفود**. ويقصد بها الوفود التي تفد على الخليفة إما لتهنئة أو تعزية أو تأييد رأي سياسي، ومن أشهر خطباء الوفود: سحبان خطيب وائل، والأحنف بن قيس خطيب تميم.

(د) **خطابة الحرب**. وهي خطب القواد في جيوشهم وتهدف هذه الخطابة إلى تحميس الجند للقتال، ومن القواد الذين اشتهروا بخطبهم قتيبة بن مسلم الباهلي، وطارق بن زياد.

أسباب الخطابة:

١- وجود الاتجاهات السياسية التي يمثلها الأمويون وهم الخلفاء، والزبيريون، والشيعة، والخوارج.

٢- وجود الفرق الدينية من جبرية، ومرجئة، وقدرية، ومعتزلة.

٣- قيام الفتن مثل فتنة عمرو بن سعيد بن العاص على عبد الملك بن مروان، وفتنة ابن الأشعث على الحجاج، وفتنة قتيبة بن مسلم على سليمان بن عبد الملك.

أسلوب الخطابة:

أسلوب الخطابة متنوع، فأسلوب الخطابة الدينية أسلوب واضح بعيد عن الكلمات الغريبة ولكنه لا يصل إلى حد الابتذال.

وأسلوب الخطب السياسية أقوى؛ حيث يشتمل علي بعض الكلمات الغريبة.

وأسلوب خطب الوفود منه ما هو مختصر مثل خطب الأحنف بن قيس، ومنه ما هو مبسوط ومطول مثل أسلوب سحبان وائل.

وأما خطب الحرب فأسلوبها حماسي.

الرسائل

كثرت الرسائل في العصر الأموي؛ لتفرق العرب في الأمصار، ولتعدد ولايات الدولة، ولكثرة الاتجاهات السياسية والفرق الدينية، والرسالة لابد منها للاتصال بين الخليفة وولاته، أو بين أصحاب الفرق الدينية والسياسية.

أنواع الرسائل:

(أ) **الرسائل السياسية:** وهي التي تكون بين الخليفة وولاته أو بين الوالي وزعيم اتجاه سياسي، ومنها رسائل أهل العراق إلى الحسين بن علي، ورسائل الحجاج إلى الخوارج. ومعاني هذه الرسائل لا تلتزم الترتيب الدقيق، وأما أسلوبها فهو قوي وخصوصاً رسائل الحجاج وقطري بن الفجاءة.

(ب) **الرسائل الوعظية:** وهي التي ترسل من أجل الوعظ وترقيق القلوب، وهذه الرسائل تشتمل على الوعظ والإرشاد والترغيب والترهيب، وهي رسائل طويلة وأسلوبها سهل ليس فيه غريب ولا غموض.

(ج) **الرسائل الشخصية:** وتشتمل على التهنئة والتعزية، والعتاب والاعتذار، والشفاعة، وأسلوبها سهل وخال من التكلف في الغالب.

(د) **الرسائل الديوانية:** تشمل رسائل الدولة الرسمية، ولا يكتب في الديوان إلا من عرف بإجادته للكتابة وكان قادراً على انتقاء الألفاظ وحسن أداء المعاني التي يطلب منه إيداعها في الرسالة.

أطـوار الرسائل:

الرسائل بأنواعها السياسية والوعظية والشخصية والديوانية مرت بمراحل ثلاث:

١- ففي أول العصر كان الخليفة يملي على الكاتب فتكون الرسالة من إنشاء الخليفة أو الـوالي وأسلوبها في هذه المرحلة قوي متين، ويشتمل علي الألفاظ الغريبة، ولا تخلو مـن السجع، ومن كتاب الرسائل في هذه المرحلة: معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وعبد الملك بـن مروان، والحجاج، وقطري بن الفجاءة، ومن كتاب الرسائل الذين يُمْلى عليهم أو ينـشئونها أحياناً: عمرو بن سعيد الملقب بالأشدق وكان يكتب لمعاوية، وروح بن زنباع الجذامي لعبد الملك، ويحيى بن يعمر ليزيد بن المهلَّب، ثم استقدمه الحجاج.

٢- وفي وسط العصر الأموي وبعد أن حُوِّلت الدواوين إلى العربية ومنها ديوان الرسائل أصـبح للرسائل كتَّاب متفرغون يختارون اختياراً. فالمعاني تملى عليهم ثم يـصوغونها بأسـاليبهم. وهؤلاء الكتاب يعنون بانتقاء الألفاظ وتنسيق التراكيب.

وقد برزت الرسالة الوعظية في هذه المرحلة بأسلوبها السهل ومعانيها المشتملة علي الـوعظ والإرشاد. أما الرسائل السياسية فقد أصبحت جزءاً من الرسائل الديوانية. ولم يتغير أسلوب الرسائل الشخصية تغيراً كبيراً.

٣- وفي آخر العصر الأموي برزت الكتابة الفنية في رسائل سالم مولى هشام بن عبد الملك وابنه عبد الله وعبد الحميد الكاتب، وهذه الرسائل تتميز بطولها فهي تبلغ أربعين صفحة وأحيانـاً أكثر، وأسلوب رسائل هذه المرحلة أسلوب سهل يتخلله السجع، وتُصدر الرسالة بالتحميد وتشتمل على عدة أغراض لطولها. وقد تأثر أسلوبها بأسلوب الوعّاظ كالحـسن البـصري، وواصل بن عطاء حيث نجد الكلمات المترادفة. ولا نجد في ألفاظ الرسائل كلمات غريبة وإنما هى مختارة ومنتقاه، ومعاني الرسائل في هذه المرحـلة مرتبة وواضحة وبعيدة عن الغموض.

نماذج من النثر الأموي

خطبة معاوية عندما أحسَّ بقرب وفاته:

"أيها الناس، إنا قد أصبحنا في دهر عَنُود[1] وزمن شديد، يُعَدُّ فيه المحسن مسيئاً، ويزداد فيه الظالم عُتُوًّا، لا ننتفع بما علمنا، ولا نسأل عما جهلنا، ولا نَتَخَوَّفُ قارعةً[2] حتى تَحِلَّ بنا. فلتكن الدنيا في أعينكم أصغَر من حُثَالَةِ القَرَظ، وقُرَاضَة الجَلَمَين[3]، واتَّعظوا بمَن كان قَبلكم، قبل أن يتَّعِظ بكم من يأتي بعدكم، فارفضوها ذميمة[4]، فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم".

خطبة الحسين في السنة التي قتل فيها:

" إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها واستمرت جداً، فلم يبق منها إلاَّ صُبَابة[5] كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل[6]، ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه! لِيَرْغَب المؤمن في لقاء الله مُحِقاً، فإني لا أرى الموت إلا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا بَرَمَا[7]".

خطبة عبد الله بن الزبير عندما علم بمقتل أخيه مصعب في العراق:

"الحمد لله الذي يُعِزُّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء، إنه لن يذلَّ من كان الحق معه وإن كان فرداً، ولن يُعز من كان أولياء الشيطان حزبه وإن كان معه الأنام. أتانا خبر من قبل العراق أجزعنا

---

(١) عنود: جائر.

(٢) القارعة: الخطب الذي يقرع أي يصيب.

(٣) القرظ: شجر وحثالته ما يتساقط من ورقهن وقراضة الجلمين: ما يتساقط من الصوف وغيره عند ما يقص.

(٤) يعني الدنيا. والخطبة في البيان والتبيين ٢/٥٨ وعيون الأخبار ٢/٢٣٧.

(٥) الصبابة: البقية القليلة.

(٦) المرعى الوبيل: الوخيم.

(٧) برم: ضجر. والخطبة في تاريخ الطبري ٥ /٤٠٣.

وأفرحنا: قتل مصعب رحمه الله، فأما الذي أحزننا من ذلك فإنَّ لفراق الحميم لَذْعَةً يجدها حميمه عند المصيبة به، ثم يرعوي بعدها ذوو الرأي إلى جميل الصبر وكريم العزاء. وأما الذي أفرحنا من ذلك فعلمنا أن قتله شهادة، وأن ذلك لنا وله الخِيرَة.

ألا إنَّ أهل العراق أهل الشقاق والنفاق باعوه بأقل ثمن كانوا ياخذونه به. إنا والله ما نموت حَبَجاً[1] ولا نموت إلا قتلاً، قَعْصاً[2] بالرماح تحت ظلال السيوف، ليس كما تموت بنو مروان، والله إنْ قُتِلَ رجل منهم في جاهلية ولا إسلام. ألا إنّما الدنيا عاريّةٌ من الملك الأعلى الذي لا يبيد ذكره ولا يَذِلُّ سلطانه فإن تُقْبِلْ عَليَّ لا آخذها أخذ البَطِر الأشِر، وإن تدبر عني لا أبْكِ عليها بكاء الخَرِف المُهْتَرِ[3]".

تأبين فرعانة بنت أوس بن حَجَر للأحنف بن قيس[4]:

" إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمك الله أبا بحر من مِجَن في جَنَن[5] ومُدْرجٍ في كفن، فوالذي ابتلانا بفقدك، وأبلغنا يوم موتك، لقد عِشْتَ حميداً، ومُتَّ فَقيداً، ولقد كنت عظيم الحلم، فاضل السِّلْم، رفيع العماد، واري الزناد، منيع الحريم، سليم الأديم، وإن كنت في المحافل لشريفاً، وعلى الأرامل لعطوفاً، ومن الناس لقريباً، وفيهم لغريباً، وإن كنت لَمُسَوَّدَا، وإلى الخلفاء لَمُوَفدَا، وإن كانوا لقولك لمستميعين، ولرأيك لمتبعين".

---

(١) الحبج: أن يأكل البعير كثيراً من العرفج فيموت. ويقصد ابن الزبير أننا لا نموت بالتخمة كبني أمية.

(٢) قعصه: قتله مكانه.

(٣) الخرف: من ذهب عقله بسبب الكبر. والمهتر: من ذهب عقله بسبب المرض أو الحزن. والخطبة في عيون الأخبار ٢/٢٤٠؛ وتاريخ الطبري ٦/١٦٦.

(٤) التأبين: رثاء الميت والثناء عليه، وتعديد محاسنه. وفرعانة امرأة من بني تميم، والأحنف توفي سنة ٦٧هـ.

(٥) الجنن: القبر لأنه يجن الموتى أي يخفيهم عن الأنظار.

دراسة أدبية لرسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكُتَّاب

النـــــص:

"أما بعد، حفظكم الله يأهل صناعة الكتابة، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم! فجعلكم معـــشر الكتاب – في أشرف الجهات – أهْلَ الأدب، والمروءة والعلمِ والرواية.

فتنافسوا يا معشر الكُتَّاب في صُنوف الآداب، وتفقَّهوا في الدين، وابدؤوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فإنها ثِقافُ[1] ألسنتكم، ثم أجيدوا الخط فإنه حِلْيـــةُ كُتـــبكم، وارووا الأشعار، واعرفوا غريبَها ومعانيَها، وأيامَ العرب والعجم، وأحاديثَها وسِيَرَها فإن ذلك مُعينٌ لكـــم على ما تسمو إليه هِمَمُكم، ولا تُضَيِّعوا النظرَ في الحساب، فإنه قِوَامُ كُتّاب الخـــراج[2]. وارغبـــوا بأنفسكم عن المطامع سَنِّيها وَدَنيِّها، وسَفْسَافِ الأمور ومحاقِرها، فإنها مَذَلّـــةٌ للرقـــاب مَفْـــسَدَةٌ للكُتَّاب، ونزهوا صناعتكم عن الدناءات، واربؤوا بأنفسكم[3] عن السعاية والنميمة وما فيه أهـــل الجهالات، وإياكم والكِبْرَ والصَّلَفَ[4] والعَظَمة فإنها عداوة مجتلَبَةٌ من غير إِحْنَة[5]، وتحـــابُّوا في الله عز وجل في صناعتِكم، وتواصوا عليها بالذي هو أليقُ بأهل الفضل والعدل والنُّبْلِ من سلَفِكم.

تولاَنا الله وإياكم يا معشرَ الطلبة والكتبة بما يتولى به مَنْ سبقَ علمهُ بإسعادِه وإرشاده، فـــإن ذلك إليه وبيده، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[6].

صاحب النص:

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري بالولاء، من أشهر الكتاب في آخر العصر الأموي،

---

(١) ثقاف: مقوم.

(٢) قوام الشي: عماده. الخراج: الجزية وما يُصَالَحُ عليه أهل البلاد المفتوحة.

(٣) اربؤوا بأنفسكم: ارتفعوا بأنفسكم.

(٤) الصلف: التطاول.

(٥) الإحنة: الحقد.

(٦) من أراد أن يطلع على النص كاملاً فليرجع إلى الجزء الأول من صبح الأعشى.

فقد طور الرسائل بكثرة التحميدات في صدر الرسالة، وبالتوسع في المعاني، والعناية بترتيبها ووضوحها. اشتغل في دواوين الخلفاء حتى أصبح المقدم عند مروان بن محمد، ولما قوي أمر العباسيين هرب مع مروان إلى مصر حيث قتل في بوصير سنة ١٣٢هـ.

تقسيم النص:

(أ) **مقدمة**: تبدأ بـ (أما بعد) وتنتهي بـ (والرواية) وتشتمل على الدعوة بالتوفيق للكتاب وبيان منزلتهم.

(ب) **عُدَّة الكتاب**: وهي إرشادات ونصائح وتعاليم للكتاب، وهي لب الرسالة وصميمها وتبدأ بقوله: (فتنافسوا يا معشر الكتاب) وتنتهي بـ (والنبل من سلفكم).

(ج) **خاتمة**: تبدأ بقوله (تولانا الله) وتنتهي بـ (والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) وهي دعاء للكتاب برعاية الله لهم. ثم سلام يشعر بانتهاء الرسالة.

الأفكار:

لم يعرف الكُتَّاب رسالة نهجت نهج رسالة عبد الحميد في أفكارها بحيث وجهها إلى فئة من الناس هم الكتاب، وعلى هذا فإن الفكرة جديدة، وإن كانت النصائح الموجودة تصلح للكتاب وغيرهم إلا ما قل من تلك الإرشادات.

والأفكار تشتمل على صدق صاحبها وإخلاصه فيما يقول، والدليل على ذلك أن هذه الأفكار عندما تطبق على الواقع تكون حقائق ملموسة، فأفكار عبد الحميد إذن أفكار متطورة تسابق الزمن الذي قيلت فيه، فالكتاب تسابقوا إلى حفظها، بل إنها أثرت في كثير من الناس فأخذوا يكتبونها ويتدارسونها. وأما تنظيم الأفكار وترتيبها فهو أمر ملموس؛ فالرسالة تتكون من ثلاثة أجزاء:

١- مقدمة. ٢- عرض. ٣- خاتمة.

والعرض وهو لب الرسالة تدرجت فيه الأفكار تدرجاً ينقل الفائدة إلى القارئ والمستمع بسهولة، فالكاتب أمر الكاتب بالفقه في الدين والنظر في كتاب الله ثم إتقان اللغة العربية، وانتقل

بعد ذلك إلى إجادة الخط، وبعد ذلك أمرهم بالاطلاع على التاريخ والأيام والاستفادة من الشعر، ولفت الكتاب إلى تعلم الحساب. وهذا القسم هو الفكرة الرئيسة التي تُعدُّ الكاتب للكتابة، ثم خصص القسم الثاني من العرض للنصائح حيث أرشد الكتَّاب إلى التحلي بالصفات السامية والابتعاد عن الصفات الدنيئة.

ومن خلال هذا العرض لأفكار الكاتب يتضح لنا أنها أفكار تشملها وحدة تامة تربط جميع أجزائها في إطار واحد، وهي بعد ذلك أفكار واضحة بعيدة عن اللبس والغموض.

الأسلوب:

أسلوب عبد الحميد في رسالته أسلوب متطور حسن الصياغة؛ فألفاظه خاليه من الغريب. وتراكيب الرسالة متماسكة ألألفاظ متآلفة فيما بينها، ليس فيها تعقيد يمنع من فهم المعنى، ويظهر في أسلوب الكاتب الترادف، فهو يجمع عدداً من الكلمات لمعان متقاربة مثل: (وحاطكم ووفقكم وأرشدكم) وقوله: (أهل الأدب والمروءة والعلم) والترادف ناتج عن تطويل الرسائل، فالترادف في الأسلوب وتفتيق المعاني في الأفكار يرجعان إلى طول الرسالة.

وظاهرة أخرى في أسلوب هذه الرسالة وهي كثرة استخدام حروف العطف، وهذا الأمر وإن لم يكن مستحسناً إلا أن حاجة الأفكار إلى هذه الحروف جعلتها مقبولة. وقد استخدم الكاتب السجع كقوله: (فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب) وقوله: (فإنها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب) ولكن الكاتب لم يكثر منه فجاء مناسباَ وخفيفاً على السمع، ومما نلاحظه في الأسلوب تنويع العبارة ما بين دعاء وأمر وتحذير.

وقد أحسن الكاتب عرض أسلوبه فبدأ المقدمة بـ (أما بعد) وضمنها الدعاء، وعندما انتقل إلى العرض غير أسلوبه من الدعاء إلى الأمر حيث بدأ بقوله (فتنافسوا) ثم عاد إلى الدعاء في الخاتمة حيث قال: (تولانا الله وإياكم) وكما أنه أحسن الابتداء فقد وفق ختم رسالته حيث ختمها بالدعاء والسلام.

مناقشـــــــة

١- ما أنواع الخطابة في العصر الأموي؟ وما أهم أسبابها؟

٢- أسلوب الخطابة في العصر الأموي يختلف بحسب نوع الخطبة.

اشرح هذه العبارة.

٣- ما أنواع الرسائل في العصر الأموي؟ وما المراحل التي مرت بها؟

٤- متى ظهرت الكتابة الفنية في العصر الأموي؟ ومن هم روادها؟

المحتويـــات

الموضـــــــوع	الصفحة
مقدمـــــة	٥
الفصل الدراسي الأول	٧
توزيع المنهج للفصل الدراسي الأول	٩
تعريف الأدب	١١
أقسام الأدب	١٢
(أ) فن الشعر:	١٢
الشعر القصصي	١٢
الشعر التمثيلي	١٣
الشعر الغنائي أو الوجداني	١٣
(ب) فن النثر:	١٤
أنواع النـــثـــر	١٤
الغرض من دراسة الأدب	١٧
العصور الأدبية	١٨
العصر الجاهلي	٢٠
(أ)الحياة الاجتماعية	٢٠
(ب)الحياة السياسية	٢١
(ج) الحياة العقلية	٢٢
أيام العرب وأثرها في الأدب	٢٤
يوم ذي قار	٢٤
يوم خزازى	٢٥
الشعر الجاهلي	٢٧

الموضـــــــوع	الصفحة
نشأة الشعر الجاهلي وروايته	٢٧
أغراض الشعر الجاهلي	٢٨
المدح	٢٨
الهجاء	٢٩
الرثاء	٢٩
الفخر والحماسة	٣٠
الغزل	٣٠
الوصف	٣٠
الاعتذار	٣١
الحكمة	٣٢
خصائص الشعر الجاهلي	٣٣
(أ) خصائص المعاني	٣٣
(ب) خصائص الألفاظ	٣٤
المعلقات	٣٥
نماذج من الشعر الجاهلي	٣٩
امرؤ القيس (حياته وشعره)	٤٢
النابغة الذبياني (حياته وشعره)	٤٩
زهير بن أبي سلمى (حياته وشعره)	٥٨
النثر الجاهلي	٦٥
الخطابة	٦٥
نماذج من الخطابة	٦٧
الأمثال	٦٩

الموضـــــــوع	الصفحة
الفصل الدراسي الثاني	٧٣
توزيع المنهج للفصل الدراسي الثاني	٧٥
الأدب في عصر صدر الإسلام	٧٧
أثر الإسلام في اللغة والأدب	٧٧
أثر القرآن في اللغة والأدب	٧٨
أثر الحديث في اللغة والأدب	٧٩
الشعر في عصر صدر الإسلام	٨٠
موقف الإسلام من الشعر	٨٠
أغراض الشعر في عصر صدر الإسلام	٨١
المدح	٨١
الهجاء	٨٢
الحماسة	٨٣
الرثاء	٨٣
شعر الدعوة والفتوح الإسلامية	٨٥
خصائص الشعر في صدر الإسلام	٨٨
(أ) خصائص المعاني	٨٨
(ب) خصائص الأسلوب	٨٩
نماذج من الشعر في عصر صدر الإسلام	٩١
حسان بن ثابت (حياته وشعره)	٩٦
شعره في الجاهلية	٩٧
شعرة في الإسلام	٩٩
كعب بن زهير (حياته وشعره)	١٠٤
النثر في عصر صدر الإسلام	١١٢

الموضـــــــوع	الصفحة
الخطابة	١١٢
نماذج من الخطابة	١١٣
الرسائل	١١٦
نماذج من الرسائل	١١٦
الأدب في العصر الأموي	١٢٠
الشعر	١٢٠
أغراضه	١٢٠
الشعر السياسي	١٢١
المدح	١٢٢
الهجاء	١٢٣
النقائض	١٢٣
شعر الفتوح والدعوة الإسلامية	١٢٥
خصائص الشعر في العصر الأموي	١٢٨
نماذج من الشعر الأموي	١٢٩
جرير (حياته وشعره)	١٣٣
الفرزدق (حياته وشعره)	١٤٠
النثر في العصر الأموي	١٤٧
الخطابة	١٤٧
الرسائل	١٤٩
نماذج من النثر الأموي	١٥١
دراسة أدبية لرسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب	١٥٣
المحتوى	١٥٧